

الكتاب: الحقائق الإسلامية في الرد على المزاعم الوهابية
المؤلف: حاج مالك بن الشيخ داود
الجزء:
الوفاة: معاصر
المجموعة: ردود علماء المسلمين على الوهابية والمخالفين
تحقيق:
الطبعة:
سنة الطبع: ١٤٠٧ - ١٣٦٥ ش - ١٩٨٦ م
المطبعة:
الناشر: مكتبة الحقيقة - إستانبول - تركيا
ردمك:
ملاحظات:

الحقائق الإسلامية

في الرد

على المزاعم الوهابية

بأدلة الكتاب والسنة النبوية

تأليف

الحاج مالك بن الشيخ داود

وفقه الله والمسلمين بسعيي محمود

قد اعتنى بطبعه طبعة جديدة بالأوفست

يطلب من مكتبة الحقيقة بشارع دار الشفقة بفتح ٥٧ استانبول - تركيا

هجري قمري ١٤٠٧ هجري شمسي ١٣٦٥ ميلادي ١٩٨٦

* (تنبيه) *

من أراد أن يطبع هذه الرسالة وحدها أو يترجمها إلى لغة أخرى فله من الله الأجر

الجزيل ومني

الشكر الجميل وكذلك جميع كتبي كل مسلم مأذون بطبعها بشرط جودة الورق

والتصحيح

إهداء الكتاب

إلى حضرة المجاهد الأكبر، المنهض حاله والدادل على الله مقاله سيدي ومولاي
الحاج عبد العزيز سه. خليفة المسلمين وخادم الحضرة الأحمدية في إفريقية الغربية.
إنني أتشرف بإهداءكم هذه المؤلفمة المتواضعة تقديرا لمساعدكم الحميدة و
مجهوداتكم الجبارة التي ما برحتم تبدلونها لصالح الإسلام والمسلمين. ويسعدنا أن
نؤكد

في هذه السطور ما لفضيلتكم من أياد بيضاء. ومواقف غراء، في مختلف القضايا
الإسلامية

منها، والوطنية. لقد كنتم - يا فضيلة الشيخ - السند الأقوى والقدوة الحسنى لا بناء
هذه الأمة المسلمة. وقمتم خير قيام لتحقيق التضامن وإصلاح ذات البين في ظروف
يكاد

التعصب بين الطرق الصوفية، والمذاهب الفروعية. يمزق شمل الأمة ويوهن قوتها أو
يقضي عليها بالكلية.

ولكن لحسن الحظ وبفضل ما أوتيتم به من الحكمة وفصل الخطاب، استطعتم
أن تفهموا كل من يفهم القول بأن الطرق والمذاهب مهما تعددت وتخالفت في
الأشكال

والنظم، فإنها تهدف إلى تحقيق غاية واحدة وهي توجيه العباد إلى معالم العبادات و
جعلهم أمة متحدة ذات هدف وشعور مشتركين وقد تحقق بحمد الله تعالى في عهد
كم

الزاهر الشئ الكثير من تلك الأهداف العالية. فنسأل الله العلي القدير أن يجعل سعيكم
مشكورا وجزاءكم موفورا إنه تعالى لا يضيع أجر المحسنين.

إنها محاولة كانت ولا بد من أن نكتبها بمقتضى القضاء والقدر فلو لا ذلك لما ظهرت إلى الوجود لضعف مستويينا الثقافي والتعبيري ولأن الكتابة تحتاج أيضا إلى مزيد

من الآلات غير المداد والقلم. فلسنا متزودين بتلك الآلات التي هي معرفة أساليب الإنشاء، وقواعد التركيب والترتيب. ولسنا كذلك من عارفي التصنيف ولا ألفي التأليف. ولكننا سلطنا مسالك غيرنا، وتحملنا بما لا حول لنا به ولا قوة. والحق أن سلو كنا

وتحملنا بهذا وذاك إنما هو تعبير صادق عن حقيقة رغبتنا لامتحاض النصيحة لعامة المسلمين. والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (الدين نصيحة) هذا ولم يكن ليخطر ببالي أن أكتب مثل هذه الرسالة إلا بعد أن جالست بعض الوهابيين عدة مرات: وناقشت معهم شتى الموضوعات الدينية. وأضف إلى ذلك ما رأيته في الكتب من مؤلفاتهم، وما استمعت إليه من محاضراتهم وندواتهم فظهر لي ما يسرونه لغيرهم وما يعلنون. ووجدتني - والحال هذه - مضطرا للدفاع عن المظلومين و

أن أكف أيدي المعتدين عملا بقوله تعالى: (ولمن انتصر بعد ظلمه، فأولئك ما عليهم من

سبيل * الشورى: ٤١) وقوله عليه الصلاة والسلام: (أنصر أخاك ظالما أو مظلوما) هذا ويمكن التحقق بأن الهدف الوحيد والغرض الرئيسي من تأليف هذا الكتاب هو بث الحقائق الإسلامية، وتخليص ذوي الأفهام المنحرفة من ورطة الإفراط و التفريط لا غير. ولست أقصد من وراء هذا العمل إلا الشفقة على الإخوان المسلمين علما

بأن انتقاد أولياء الله تعالى نذير سوء الخاتمة - والعياذ بالله! - وليس لي أي غرض إلى شن الهجوم ضد الوهابيين أو التعدي عليهم بالظلم والعدوان. كلا! وحاشا! ولكنني في الواقع إنما أحاطبهم بلسان النصيحة وأذكرهم - إن نفعت الذكرى - بأن دعوتهم هذه، وإن كانت في البداية لأجل نصره دين الله الحنيف قد صارت اليوم

- ويا للأسف - حجرة عثر في طريق الأخوة الإسلامية، أو شبه جمرة تحركها يد الشيطان

فترمى بشرر العداوة بين المسلمين من جهة، وبين ذوي الأرحام من جهة أخرى. أو بعبارة أخرى ككرة تتقاذفها الأهواء بين فرق من الجهال وأفراد ممن يسمون أنفسهم (سنيين)

على الرغم من تجاهلهم وتهاونهم بمعنويات السنة ومقتضياتها هذا، وقد التزمت من نفسي وحاذرت كل الحذر حرصا على توفير العدالة المنطقية، ونظرا إلى أن الحق أحق أن

يتبع - التزمت أن لا أكتب في هذه المؤلفة غير الواقع المشهود، استنادا على الحق. وخوفا

من أن أكون كالناقد المتطرف الذي يعتمد فيما يكتب أو يقول: على القيل والقال. أو على الرجم بالغيب (وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين * يوسف: ٨١) هذا وأملني كبير في أن يطالع هذه السطور آذان واعية ونفوس مستعدة لقبول الحق أيا كان مصدره. ولله در القائل: (أنظر لمعنى القول لا للقائل والحق مقبول ولو من جاهل) وسميتها بالحقائق الإسلامية في الرد على المزاعم الوهابية بأدلة الكتاب والسنة النبوية.

ثم إنني أعتذر مرة أخرى لكل من اطلع عليها من النجاة وذوي الثقافة بأني لا أملك غير حسن الظن بالله وهو المسؤول بأن يتم لي المقصود. ويجعلها مقبولة لديه، خالصة

لوجهه الكريم، نافعة لمن اطلع عليها، إنه ولي التوفيق والهادي بمنه إلى الصراط المستقيم.

الحاج مالك به

نزيل مدينة " كوتبالا " جمهورية " مالي "

بسم الله الرحمن الرحيم
نحمد الله الذي أنشأ وصور ونشهد أن لا إله غيرك يا من أسمع وأبصر والصلاة
والسلام
على مولانا محمد سيد من بشر وأنذر القائل: (من كفر مسلما فقد كفر) وعلى آله
وصحبه،
ومن آوى ونصر

أما بعد فإن الباعث الوحيد لي إلى وضع هذه الرسالة هو النصيحة لعامة المسلمين
والرد على بعض الوهابيين المتطرفين الذين يظنون بالمسلمين غير الحق ظن الجاهلية
ويزعمون أن من لم يكن وهايبا فهو مشرك حتى ولو أقر بالشهادتين وأقام
الصلاة وآتى الزكاة وصام رمضان وحج البيت. لأن الوهابية عندهم بمثابة سنة نبوية
يجب الاقتداء بها بالقلب والقالب وكان الوحي الإلهي إنما أنزل على محمد بن عبد
الوهاب (المتوفى سنة ١٢٠٦ هـ). لا على محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم. [١]
وأقول بأن هذه المزاعم وأمثالها ليس مصدرها إلا الجهل الذي هو الداء العضال
في كل زمان ومكان، والذي لا يقتل أعضاء الجسم وحدها إنما يقتل معها أعضاء
الأمة جمعاء.

ولا شك أن هذه الخلافات التي مني بها مجتمعنا القومي في عصرنا الحالي،
جاءت نتيجة لسببين ظاهرين: أو لهما: هو الجهل المركب الذي لا يميز صاحبه بين
الخبث

والطيب ولا بين المندوب والمكروه ثم لا يعترف بجهله فيسكت. والثاني: هو عدم
فهم

بعض المسائل الدينية فهما حقيقيا، مما أتاح لهم فرصة ليحرفوا بعض الآيات
والأحاديث

عن مواضعها فيترتب عليه إجرام البرئ تارة وإبراء المجرم تارة أخرى.
ولأجل هذين السببين عمت البلوى بانتشار الخلافات الدينية مما أدى إلى قطع
الأرحام وهجران المساجد واختلاف المفاهيم والآراء، وأخيرا اختلط الدين بالطين و
انتهى الأمر إلى الفوضى. وقديما سئل حكيم عن كثرة الخلافات فأجاب: (لو سكت
الجاهل لارتفع الخلاف)

(١) أما أولئك الوهابيون المعتدلون الذين لا يعتقدون ذلك ولا يزعمون تلك المزاعم فلم يتوجه إليهم كلامنا
٥١

ما أحوجنا اليوم إلى السعي وراء التفقه في الدين والاهتمام به، كواجب مقدس. وما أجدر بنا للتمسك بالكتاب والسنة والتقيد بأحكامهما قولاً وفعلاً. وما أسعدنا لو وقفنا صفاً متحداً وقلباً واحداً ضد هذه الخلافات الهدامة و التقسيمات الطائفية التي شأنها خلق التباغض والتقاطع بين أفراد المسلمين وجماعاتهم و

حبذا لو استحضرننا بأذهاننا عهد الخلفاء الراشدين وسلكننا بتصرفاتنا الدينية والدينية نهج المسلمين الأولين من المهاجرين والأنصار الذين وصفهم الله تعالى بقوله: (أشداء على الكفار رحماء بينهم* فتح: ٢٩) وبقوله: (أدلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله* المائدة: ٥٤)

وقد كانوا - رحمهم الله - مضرب المثل في التسامح والتناصح وحسن الجواز و جدير بنا - نحن الخلف - أن نحذو حذو سلفنا الأخيار ونمثل في كياننا أمة مسلمة متماسكة بمعنى الكلمة هدفها: الاعتصام بحبل الله وغايتها: القضاء على أسباب التخالف والتباغض بين أفراد المسلمين وجماعاتهم. كما كان الأمر في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عهد خلفائه الراشدين رضي الله عنهم.

وهنا نطرح السؤال التالي: ما هي العلوم التي يجب أن نتعلمها لفهم القرآن الكريم والشريعة الإسلامية؟ أهى العلوم التي في الكتب العصرية والتي يؤلفها بعض المتقولين ممن لا يعتد بأقوالهم ولا يحتج بأرائهم وإنما يحبون فقط أن تشيع الخلافات بين

الأمة؟ أم العلوم التي في الكتب الأصلية المستنبطة من الكتاب والسنة ومن أقوال أئمة المذاهب ورجال الدين؟ والجواب على السؤال واضح.

ولكي نفهم القرآن الكريم والشريعة الإسلامية فهما حقيقيا لا بد وقبل كل شئ من معرفة نصوص القرآن الكريم وأصول الحديث، والفقه، واللغة، والنحو، و غيرها...

فهذه كلها علوم ضرورية لا يستغنى عنها في فهم الشريعة. ويجب تعلمها و الاعتناء بها بأكبر قدر ممكن. لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. ولكن فمن المؤسف جدا أن بعض إخواننا الوهابيين لا يعرفون من هذه العلوم شيئا ومع ذلك فهم يدعون المعرفة والتدين. وتراهم يتجادلون في الدين آناء الليل و

أطراف النهار ويفسرون القرآن والأحاديث الأسواق والأندية العامة دون معرفة الناسخ أو المنسوخ ولا سبب النزول ولكن بأرائهم الشخصية. فكثيرا ما يحرفون الكلم عن

مواضعها والعياذ بالله. وفي الحديث: (من فسر القرآن برأيه، فليتبوأ مقعده في النار.) " أخرجه الترمذي " ولا تكاد تجد منهم من يعرف في الإسلام أكثر من وقائعه التاريخية و

قصصه المسرودة: كفتح مكة وقصة خيبر وأحداث بدر وأحد وحين وما أشبه ذلك من الحروب الإسلامية وتواريخ الخلفاء والشخصيات البارزة.

وحيث كانت معرفة هذه الحروب مهمة في نظر الإسلام فإن معرفة نصوص القرآن الكريم وأصول الحديث والفقهاء أهم بأضعاف مضاعفة. ذلك لأننا بواسطة هذه العلوم نصل إلى معرفة فروض الأعيان والتمييز بين الحلال والحرام بينما لا نصل إلى معرفة

ذلك من خلال الحروب المذكورة.

وعلى هذا فإن طلاقة اللسان ومعرفة هذه الحروب وتلك الأحداث لا تجعل الإنسان عالما ما دام يجهل فروضه والواجبات عليه. ولا ينبغي للمسلم أن يصرف همته في

تعلم هذه الحروب وتفصيلها وأن يستغرق أوقاته في تتبع مواقعها ونتائجها، حين لا يعرف شيئا عن أمور دينه وأحكام عباداته. بل الواجب عليه أن يهتم أولا بتطهير قلبه و

تحسين سلوكه وأخلاقه ثم يسعى إلى معرفة ما يصلح به فرض عينه من أحكام الصلاة و

الطهارة، والصيام. وما إلى ذلك من فروض الأعيان. وله بعد ذلك أن يتعلم ما يشاء من فروض الكفايات التي من بينها هذه الحروب وتلك القصص والحكايات.

ومهما تغافل المرء عن تعلم فروضه العينية واشتغل بما دونها من القصص و الحكايات ليميل إليه قلوب العامة ويستجلب مشاعرهم ورضاهم كان مضيعا للوقت و خاسرا في الحال والمآل.

الإسلام وأهدافه في توحيد الأمة
الإسلام هو الدين الحنيف الأمر بالتآخي والتآلف، والناهي عن التقاطع و
التخالف، ويهدف هذا الدين القويم من خلال أوامره الربانية وتوجيهاته النبوية إلى
خلق جو يسوده التفاهم والتحابب بين أفراد المسلمين وجماعاتهم وينادي بأعلى صوته
إلى

الاعتصام بحبل الله وإلى إصلاح الأخوة الإسلامية ورعاية حقوق الجوار في جميع
المستويات. ويحرص هذا الدين كل الحرص على التماسك والتحابب بقدر ما يكره
التباغض والتخالف. قال الله تعالى: (... ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم...)*
الأنفال

(٤٦) وقال أيضا: (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا* آل عمران: ١٠٣) ويقول
الرسول صلوات الله وسلامه عليه: (لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكنوا عباد
الله

إخوانا) رواه أنس وقال عليه السلام: (المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه
بعضا) رواه البخاري ومسلم وقال أيضا: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب
لنفسه) رواه البخاري ومسلم

والإسلام أحرص شئ على التوافق والتعاون بين أبنائه ويظهر ذلك جليا في كل
توجيهاته، وتعليماته، وخاصة في قواعده الخمس التي هي: الشهادتان، والصلاة، و
الزكاة، والصوم، والحج. فالشهادتان تشكلان المورد الإلهي العذب، الذي ترده القلوب

و
الألسنة بين حين وآخر، فترتوي من ماء التوحيد الذي هو السبب الإيجابي للحياة
الأبدية

والسعادة السرمدية

والشهادتان - بالمعنى الصحيح - تعبران عن لفظ التوحيد ومعنييه الحقيقيين و
هما أساس القواعد الخمس التي بنى عليها الإسلام.

والصلاة هي اجتماع مفروض بين المسلمين يوميا ليقوموا إلى عملية العبادة
بحركات متحدة من قيام، وركوع، وسجود، وجلوس، وسلام. ويتكرر هذا الاجتماع
خمس مرات في اليوم، فيترتب منه التعارف بين المسلمين والتآلف والتعاون في كل
المجالات.

أما الزكاة فهي من أجل مظاهر التعاون والتراحم بين المسلمين ومن أسرع جوارب التحابب والتعاطف بين الأغنياء والفقراء، فالغني يأخذ كل سنة جزءا من ماله الخالص ليضعه تحت تصرفات أخيه الفقير وهو لا يريد منه الجزاء ولا الشكور. بل يعد ذلك

من الواجبات الاجتماعية التي أوجبتها عليه أحكام الشريعة الإسلامية العادلة. ثم يأخذه منه ذلك المحتاج شاكرا إياه والإسلام معا.

ثم يأتي دور الصوم وكأنه يريد من الغني أن يتعرف على الظروف التي تحيط بالفقير فيعيش معه نفس الظروف، من الجوع والعطش طيلة شهر كامل ليتسنى له بين حين وآخر، أن يتذكر أحوال إخوانه الجائعين وذوي الفاقة فيعطف عليهم ويواسيهم بما تملكه يده فيحصل له من الله الأجر ومن إخوانه الشكر.

ثم الحج الذي هو المؤتمر السنوي للمسلمين حيث يتوجهون كل سنة إلى أقدس الأماكن وأشرف البقاع. وهي مكة المكرمة لأداء فريضة الحج ولزيارة الرسول صلى الله

عليه وسلم في المدينة المنورة وهو فرصة سانحة يغتنمها المسلمون لفائدتهم الدينية و الدنيوية في آن واحد...

والحج مظهر رائع من مظاهر التشابه والمساواة بين طبقات المسلمين من الأغنياء والفقراء وداع من دعاة التعاطف وعدم التخاصم فيما بينهم قال تعالى: (فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج * البقرة: ١٩٧)

تلك هي قواعد الإسلام الخمسة وهذه، توجيهاتها وتعليماتها وكلها تهدف أساسا إلى توحيد صفوف المسلمين وجمع كلمتهم واحترام بعضهم بعضا. ويتبين للمسلمين من خلال تأملهم إلى هذه القواعد الإسلامية وتأثيراتها في المجتمع بأنهم مطالبون بالتعاطف والتماسك بدلا من التخالف والتخاصم كما هو الواقع اليوم. ومن هنا نرى ونحكم أن كل دعوة أدت إلى التفرقة والشقاق بين أفراد الأمة فهي دعوة باطلة بأدلة الكتاب والسنة. وهي بالتالي دعوة بريئة من الإسلام، والإسلام برئ منها مهما بلغ تأثيرها في قلوب العامة ومهما كثر أنصارها وأتباعها. وفي الحديث:

(أيما رجل قام يفرق بين أمتي فاضربوا عنقه)

فالدعوة الوهابية كما لا يخفى على أحد كانت وما زالت مصدر الاختلاف و

الخصومات بين المسلمين، من لدن عهد أحمد بن تيمية المؤسس الأول [١] لهذه الدعوة إلى عهد

محمد بن عبد الوهاب الذي جردها بعد أربعمئة سنة من وفاة ابن تيمية الذي كان قد واجه تهما شتى، مما أدى في الأخير إلى الحكم عليه بالسجن مدى الحياة بسبب تلك الدعوة

وقد ظل مسجوناً إلى أن وافته المنية رحمه الله.

وهنا نلفت انتباه القارئ الكريم إلى أن أحمد بن تيمية هذا كان واحداً من أكابر العلماء وكان فقيهاً مشهوراً بالزهد والتقوى، ويضرب به المثل في علم الحديث و كان يلقب بشيخ الإسلام إلا أنه خالف جمهور العلماء في بعض المسائل الشئ الذي حط

بدولته، إلى أسفل الدرجات ولا غرابة في ذلك فالجواد قد يكبو والسيف قد ينبو.

فقد كان من أمره أنه يمنع السفر لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم ويحرم التوسل والاستغاثة بالأنبياء والأولياء ويقول بأن ذلك من الشرك بالله كما كان يطعن في السادة الصوفية وفي أكابرهم من أمثال الإمام الجنيد البغدادي (المتوفى سنة ٢٩٨ .٥)

وأبي يزيد البسطامي (المتوفى ٢٣١ أو ٢٦١ .٥) وابن الفارض (المتوفى سنة ٦٣٦ .٥) والإمام الغزالي (المتوفى ٥٠٥) وأضرابهم وكان يهاجم عليهم بأفزع العبارات ويبالغ في

الرد عليهم وعلى منهجهم الصوفي. وذلك أيضاً هو النهج الذي سلكه خليفته محمد بن عبد

الوهاب وأتباعه المعاصرون. وهناك مسائل أخرى يتعلق بعضها بالأصول وبعضها بالفروع

خالفوا فيها جمهور العلماء وصاروا بها موضع الجدل والخصومات بين المسلمين.

أما محمد بن عبد الوهاب فقد ظل هو الآخر يعاني مدة حياته حروباً حامية الوطيس بينه وبين علماء عصره الذين كانوا يعارضونه تماماً ويعتبرون دعوته من أخطر الدعوات في تاريخ الإسلام. فقد رد عليه بعض الأساتذة والعلماء بأبلغ الرسائل و المؤلفات يحذرونه فيها من مغبة هذه الدعوة ويناشدونه التوقف عن شن هجوماته ضد المسلمين الأبرياء الذين تواطؤهم على الكذب والضلال.

ومن بين أولئك العلماء كبير مشائخه وهو الشيخ محمد بن سليمان الكردي [٢] الذي قال من جملة كلامه إليه: يا ابن عبد الوهاب إنني أنصحك لله تعالى أن تكف

(١) أحمد بن عبد الحلیم ابن تیمیة الحرانی المتوفى ٧٢٨

(٢) المتوفى سنة ١١٩٤



(11)

لسانك عن المسلمين فإن سمعت من شخص أنه يعتقد تأثير ذلك المستغاث به، من دون الله
فعرفه الصواب وأبن له الأدلة على أنه لا تأثير لغير الله فإن أبي فكفره حينئذ بخصوصه
ولا
سبيل لك إلى تكفير السواد الأعظم من المسلمين وأنت شاذ عن السواد الأعظم فنسبة
الكفر إلى من شذ عن السواد الأعظم أقرب لأنه اتبع غير سبيل المؤمنين قال تعالى:

(ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله،
جهنم وساءت مصيرا * النساء: ١١٥) الآية من سورة النساء
" وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية " ٥١:
وكذلك أخوه الشيخ سليمان بن عبد الوهاب الذي ألف كتابا في الرد عليه و
سماه: ب " الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية "
وهناك مئات من الكتب ألقت كلها في الرد عليه وعلى دعوته الوهابية ولنذكر
من بينها على الخصوص:

- ١ - الفجر الصادق في الرد على منكري التوسل والكرامات والحوارق. *
- ٢ - جلاء الظلام في الرد على النجدي الذي أضل العوام.
- ٣ - ضياء النهار لإبطال شبه الأنوار.
- ٤ - الدرر السنية في الرد على الوهابية. *
- ٥ - شواهد الحق في استغاثة بسيد الخلق. *
- ٦ - ضياء الصدور لمنكري التوسل بأهل القبور.
- ٧ - السهام الصائبة لأصحاب الدعاوى الكاذبة.
- ٨ - النقول الشرعية في الرد على الوهابية. *

فهذه جملة قليلة من قائمة الكتب المؤلفة قديما وحديثا في الرد على الوهابية وعلى
مبادئها الخطيرة ولم أذكر عبارات مؤلفيها رغبة في الاختصار وخوفا من التطويل.
وبعض العلماء يسمون الدعوة الوهابية ب " الدعوة الدموية " وذلك نظرا إلى أنها
متى ما دخلت في عائلة أو في مدينة بادرت - كما هو مشاهد - إلى إلقاء العداوة
والبغضاء

بين أهلها ثم لا يلبث أو يكون الخلاف فالخصومة، ثم القتال، وإراقة الدماء.

هذه الكتب طبعها مكتبة الحقيقة

فالدعوة الوهابية معروفة بهذه الصفات ومقترنة لها منذ فجر ميلادها إلى يومنا هذا والتاريخ خير شاهد على صحة ما قلناه.

ونحن لو نظرنا إلى أحوالنا فيما قبل السبعينات أي قبل انتشار هذه الدعوة في ربوع بلادنا ثم نظرنا إلى ما هي نحن عليه الآن من التباغض والتخالف والتقاطع من جراء هذه الدعوة، لوجدنا العلماء صادقين في هذه التسمية. ويخشى لو استمر هذا الوضع -

لا قدر الله - أن تندلع حروب أهلية ومشاجرات دينية لا سبيل إلى التخلص منها. وأقول فإن الدعوة الوهابية مهما بلغت من خطورة في عهد زعمائها الأولين فإنها اليوم - والحق أقول - قد تطورت وبلغت منتهى الخطورة في عهد أتباعهم المعاصرين. و خاصة أولئك الذين نعيش معهم في الزمان والمكان نسمع ونرى ما يقولون وما يفعلون.

و إننا لو ائقون من أنه لو قدر للشيخ ابن عبد الوهاب أن يعود إلى الدنيا ويشاهد هذه

الكيفية التي عليها بعض أتباعه اليوم، لتبرأ منهم كما يتبرأ المصلح من المفسد. ذلك لأنهم اتخذوا

هذه الدعوة كسلاح لمحاربة المسلمين ووسيلة إلى قطع الأرحام والتفريق بين الأمة هذا ولم تزل الدعوة الوهابية مقترنة بخصوماتها ونزاعاتها تقتفز من أرض لأخرى حتى وصلت إلى جمهوريتنا " مالي " فتسابق إليها التجار والرعاة الذين رفعوها فوق مستواها وغروا بها الشبان والصبيان وبذلوا بكل ما لديهم من حول وقوة وظهروا على القضاء بما كان عليه السلف الصالح وعلى إنكار أولياء الله تعالى والسادة الصوفية، و رموهم بما لا يليق للأراذل فضلا عن الفحول الكمل افتراء على الله وأساءوا بهم الأدب و

نصبوا مشايخ التربية أصناما وتلامذتهم عبادا وذكروا فيهم ما أنزه قلبي عن كتابته و كفى بذلك ظلما وزورا، ولم يعلموا أن لحوم أهل الله مسمومة وأكل السم سريع العطب

وجاء في الحديث القدسي: (من عادى لي أو آذى لي وليا فقد آذنته بالحرب) رواه البخاري

وفي الحديث النبوي: (إن الله شرف الكعبة وعظمها ولو أن عبدا هدمها حجرا حجرا ثم أحرقها

ما بلغ جرم من استخف بولي من أولياء الله تعالى)

وعن السؤال متى دخلت الحركة الوهابية إلى جمهورية " مالي "؟ ومن أدخلها؟ و كيف انتشرت في مدنها وقراها؟



(۱۳)

فالجواب: إننا لا نعرف بالضبط تاريخ دخولها إلى " مالي " ولا أول من أدخلها و لكننا نعرف بالحقيقة أنها انتشرت هنا بواسطة بعض التجار والرعاة وبواسطة بعض الطلبة المتوسطين ممن لا خبرة لهم بالفقه الإسلامي وإنما بذهاب هؤلاء إلى مكة المكرمة إما لأداء فريضة الحج أو للتعلم في المدارس هناك وبعد عودتهم إلى أرض الوطن يؤكدون لأهلهم وذويهم ولكل من يتصل بهم بأنهم قد وجدوا في مكة المكرمة ما يخالف دينهم الذي كانوا عليه أولاً، ويلزمونهم بالتأكيد على اتباع هذا الدين وترك ما سواه ونبذه وراء ظهورهم. ويزعمون بذلك أنهم خرجوا من الكفر ودخلوا في الإسلام من جديد فيستحقون بأن يسموا أنفسهم سنيين ومن لم يوافقهم على ذلك فهو عندهم من المشركين. ومن هنا يشرعون في الانكار والتغيير ويوجهون اللوم مباشرة إلى الآباء والأجداد وإلى رجال الدين وعلماء الأمة ويحملونهم المسؤولية ويبالغون في قدهم والاعتراض عليهم وربما يصفونهم بالمشركين أو بدعيين!!

وبما أن الناس مولعون - عادة - بالشئ الجديد فإن هذه الحركة قد حظيت إقبالا واسعا لدى الأوساط العامة. ذلك لكونهم يرون أن ما يقال عن مكة المكرمة أو بالأحرى ما يشاهد فيها قد يكون هو الدين القيم وما عداه هو الضلال البعيد. وفوق ذلك كله فليس من المفروض شرعا أن يقتدي جميع المسلمين بأهل مكة بحيث تكون مخالفتهم في بعض المسائل الفقهية خروجاً عن الدين الإسلامي. فالمسلم حر في اقتداء أي مذهب من المذاهب الأربعة شاء، وهو حر في أخذ أية طريقة من الطرق الصوفية أراد، فلا ذنب عليه في ذلك ولا عيب

الحركة الوهابية وتأثيرها في المجتمع
إن تأثير الحركة الوهابية في مجتمعنا الوطني لأمر يبعث إلى القلق ويهدد مستقبل
المواطنين وذلك لمنعها إياهم التمتع بحسن الجوار واحترام بعضهم بعضاً.
وقد ظهر للعيان توتر العلاقات الأخوية وقطع الوفاق بين ذوي القربى و
أولي الأرحام كما شوهد تغير الأحوال الاجتماعية من حسنة إلى سيئة ومن سيئة إلى
أسوأ نتيجة لانفجار الثورة الوهابية في الآونة الأخيرة، وليس من السهل التغلب على
هذه

الظروف الحرجة التي نعانيها في الوقت الحاضر، والتي أخذ يفر فيها المرء الوهابي من
أخيه الغير الوهابي بل ومن أبيه وأمه وكل أصحابه يفر منهم في حين لا ذنب لهم سوى
إنهم انخرطوا في سلك السادة الصوفية أو رفضوا التعصب للدعوة الوهابية.
فالقادة الوهابية في هذا البلد ما زالوا مصممين على أن من لم يكن وهايباً فهو
مشرك يجب هجرانه ولا يجوز التعامل معه فيما يخص الدين أو الدنيا.
وعلى هذا يمكن القول بأن الدعوة الوهابية - إذا كانت هذه شأنها - فهي
متمسكة بأفكار خاطئة ومزاعم باطلة لا تتفق والحقيقة الواقعة. فلو نظرت بشئ من
التأمل إلى قادة هذه الطائفة ثم قارنت بين أقوالهم وأفعالهم علمت يقيناً بأن لهم أهدافاً
و

غايات تدفعهم إلى التوسع في قدح أعراض المسلمين وهتك حرمتهم والاعتداء عليهم
بالظلم والعدوان.

فمن أهدافهم: التفريق بين الأمة الإسلامية لينتهزوا فرصة تضليل العوام و
استغلالهم باسم الدين وراء مصالحهم الشخصية.
أما الغاية التي يسعون إلى تحقيقها هي إثبات السنية لهم خاصة، وتكفير جماعة
المسلمين من غيرهم.

وهذا إن دل على شئ فإنما يدل على سوء الظن بالمسلمين أو عدم معرفة الإسلام
بالوجه الذي حدده الرسول عليه السلام ومعلوم أنه صلى الله عليه وسلم كان قد سئل
عن
الإسلام فأجاب: (هو أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة
وتؤتي

الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً) أخرجه الترمذي ومن هنا نتحقق خطأ أولئك الذين يكفرون المسلمين عمداً أو جهلاً بعد ما بين الرسول عليه السلام ما يجعل المرء مسلماً وبعد ما نهى عن تكفير المسلم. والأدلة الواردة للرد على مزاعمهم أكثر من أن تعد أو تحصى. فقد منع الرسول صلى الله عليه وسلم تكفير المسلم في عدة أحاديث منها: قوله عليه السلام: (إذا قال المرء

لأخيه يا كافر فقد باء به أحدهما) رواه مالك والبخاري والترمذي وقوله: (لا يكفر أحد من أهل القبليتين) وقوله: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فإن فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا في حق

الإسلام. وحسابهم على الله) رواه البخاري ومسلم وقوله عليه السلام: (الصلاة عماد الدين من أقامها فقد أقام الدين ومن تركها فقد هدم الدين) رواه البيهقي وقوله: (من كفر مسلماً فقد كفر) إلى غيره من الأحاديث المتواترة فكل واحدة من هذه الأحاديث تقتضي بأن لا يكفر المرء مسلماً مهما اعترف من ذنب

ونحب نتعجب كيف بتجاهل الوهابيون كل هذه الحقائق النبوية؟ وكيف يسعهم مخالفة الرسول في التمييز بين المسلم والكافر؟ وقد قال تعالى: (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله، ما تولى ونصله جهنم و

ساءت مصيراً * النساء ١١٥)

هذا لقد علمنا بمقتضى الأحاديث الآنفه الذكر بأنه لا يجوز تكفير المسلم الذي يؤمن بالله ورسوله ويؤدي قواعد الإسلام الخمس على الوجه المشروع.

فإذا كان العلماء قد أجمعوا على أن الكافر إذا قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله مرة واحدة قد دخل في الإسلام، له ما للمسلمين من حقوق وواجبات. فكيف بمن ولد في

الإسلام ونشأ فيه ورضي به ديناً وهو يكرر هذه الكلمة في اليوم أكثر من مائة مرة؟ فكيف يجوز تكفيره؟ مع العلم بأن الناطق بالشهادتين - في حكم الشريعة الإسلامية - يعتبر مسلماً بغض النظر عن خفايا قلبه فبعلم ذلك يحض الله وحده وجاء في أسهل المسالك

قوله: (ورحمة الله تعالى عمت... كل امرأة إيمانه كالدرة) وقال شراح هذا البيت: يجب الإيمان بأن رحمة الله تعالى تعم كل أحد مات من

الإنس والجن ولم يكن له عمل صالح سوى الإيمان بالله فقط...
ثم نتسأل إذا لم تكن القواعد الإسلامية الخمس تميزا للمسلم إذن فأين يوجد
المسلم؟ وما الذي يجعل المرء مسلما؟ وما هي علاماته ومميزاته؟
فعلى القادة الوهابية أن يفهموا بأنهم مخطئون في هذه الناحية وعليهم أن يتراجعوا
عن هذه المعتقدات الفاسدة، وأن يفهموا بأن الإسلام ليس ملكا لإيمانهم فيدخلون فيه
من يريدون، أو يخرجون منه من يشاؤون. فليتحققوا بأن الإسلام إنما يسير دائما على نهجه
الواضح المستقيم وعلى حسب البرنامج الذي وضعه الشارع الأمين صلى الله عليه
وسلم
الذي هو لا ينطق عن الهوى.

ولا يخفى على أحد منا موقف الوهابيين المتصلب المعارض لجمهور العلماء و
المتمثل في الشعارات المضللة والدعايات الكاذبة. هبهم خاطئين حين زعموا أن الناس
جميعا قبل هذه الدعوة كانوا على ضلال ومعصية. وأنها هي الدعوة الوحيدة التي تعنى
بإحياء السنة النبوية والمحافظة على التوحيد. عفا الله عنهم من هذه المزاعم اللا حقيقية
التي لا حجة لهم بها ولا أساس لصحتها.

فنحن نستغرب جدا كيف تصور لهم أو هامهم هذه المزاعم العقيمة؟ فمن أين
لهم تضليل الأمة الإسلامية جميعها أو تكفيرها ما لم تعتقد العقيدة الوهابية؟ فكيف حال
الأمة في نظرهم قبل ميلاد الزعيم الوهابي وقبل انتشار دعوته الحديثة؟ فهل الشيخ ابن
عبد الوهاب هذا إلا كواحد من أفراد البشر يصيب ويخطئ؟ أم هو في عداد
المعصومين

من الأنبياء والمرسلين؟ وهل من العدالة أن نصدقه هو بمفرده ونتبعه ثم نكذب غيره من
أكابر العلماء وجهابذة الفقهاء؟

فهذا أمر لا يمكن - في اعتقادي - أن يقبله عقل مفكر مهما كان صاحبه غارقا
في بحر التعصب، وكيف ما كان مغرورا...

وعلى ضوء هذه الحقائق فإن أقرب دليل للرد عليهم وعلى إحباط مزاعمهم قوله
عليه الصلاة والسلام: (لا تجتمع أمتي على ضلالة) أخرجه الترمذي عن ابن عمر وقوله:
(لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم) رواه الحاكم.
ومن أعظم خطأهم بعد تكفير المسلمين إنكارهم على أولياء الله وكراماتهم مع

أنهم يصدقون بالاختراعات العصرية كالإذاعات والتلفزات والصواريخ والهواتف السلكية واللاسلكية وغيرها من الآلات الكهربائية التي تحير العقول، والتي لم يكن الإنسان الأول يحلم بها ولا يكاد يصدق بإمكان وجودها فهلا يؤمنوا بأن الذي أعطى للعقل البشري المهارة على اختراع هذه الأشياء العجيبة، قادر على أن يعطي لأوليائه من الكرامات وخوارق العادات ما لا يدركه الفهم ولا يصل إليه القياس. وهو سبحانه و تعالى (فعال لما يريد * البروج: ١٦) و (ولا يسئل عما يفعل * الأنبياء: ٢٣)

وعلى الرغم من ثبوت هذه الأدلة فهناك جماعة غير قليلة من الوهابيين ينكرون على أولياء الله وكراماتهم ويرفضون حصول الكرامات والخوارق لهم، زعما بأن مثل هذه، إنما يحصل للأنبياء خاصة دون غيرهم من أفراد البشر، وينزلون هذه الكرامات و الخوارق، منزلة السحر أو الكهانة. ولهم في ذلك أقوال أعتذر عن حكايتها مراعاة للأدب و

لعدم مناسبتها لحضرة أولياء الله تعالى اللهم إلا أن أقول سامحنا الله وإياهم، وأقال عثرتنا. وعرثاتهم ولا يدري هؤلاء المقصرون بأن ما جاز للنبي معجزة يجوز للولي كرامة و

أن كرامات الأولياء وخوارقهم ثابتة في الكتاب والسنة. وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم في عدة مواضع. منها قوله عز وجل في الإخبار عن السيدة مريم رضي الله عنها:

(كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا * آل عمران: ٣٧) وكان يجد عندها

فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف. وقوله لها: (وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا * مريم: ٢٥) وكما ذكر القرآن قصة المرسلين الذين أرسلهم نبي الله عيسى عليه السلام إلى أهل أنطاكية ليدعوهم إلى عبادة الله فصاروا يبرؤون

الأكمه والأبرص ويحيون الموتى بإذن الله وذلك كرامة لهم ومعجزة لنبيهم عيسى بن مريم عليه السلام [١] وقد بين كتاب الله العزيز كثيرا من الكرامات والخوارق التي وهبها الله لبعض أوليائه وخصائصهم العلمية والعملية.

ومنها أن نبي الله موسى كان تلميذا للسيد خضر عليهما السلام وكان قد استصحبه مدة من الزمن ليستفيد منه بعض العلوم. (قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا * الكهف: ٦٦) وأن آصف بن برخيا أحضر لنبي الله سليمان

(١) وذلك عند قوله تعالى (واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون * يس: ١٣)

عليه السلام عرش بلقيس في أقل من طرفة العين وقد كان الهدهد يدلّه على الماء. فكل هذه كرامات وخوارق أثبتها الكتاب الكريم بحيث لا يمكن إنكارها ولكن مع هذا كله فلا يقتضي ثبوت هذه الكرامات أفضلية الأولياء على الأنبياء - كما يتوهمه بعض الجهال - بل هي منة من الله بها عليهم بصورة المزية ولا يستغرب ذلك فقد يوجد في

النهر ما ليس في البحر وقد اقتضت حكمة الله تعالى أن يكون للمفضول ما ليس للفاضل.

ومعلوم أن نهاية مراتب الأولياء هي بداية مراتب الأنبياء فلا مطمع للولي أن يصل إلى غبار النبي فضلا عن أن يماثله أو يفضل منه. ولكن فمن الواجب علينا أن نحترم

أولياء الله تعالى ونصدق كراماتهم ونعلم بأن الذي أيد الأنبياء بالمعجزات هو الذي أيد الأولياء بالكرامات فالكرامات فروع من معجزات الأنبياء فكل كرامة نالها ولي إنما هي من معجزات نبيه وكذلك كرامة أولياء هذه الأمة فهي من معجزات سيدنا محمد صلى الله

عليه وسلم.

ولذلك كان إنكار الكرامات إنكارا للمعجزات وإنكار المعجزات تكذيب للرسول وهو من الكفر الصريح والعياذ بالله. فلا ينبغي للمسلم - والحال هذه - أن ينكر على كرامات الأولياء مهما بلغت لأن الفضل بيد الله يؤتیه من يشاء لا اعتراض ولا شك أن الجهل خير من علم يؤدي إلى إنكار أولياء الله وكراماتهم.

فكل ما نحذر إخواننا المسلمين عامة، والوهابيين خاصة، أن يكفوا عن أذية أهل الله وأكل لحومهم. وأن لا يبادروا إلى معارضتهم في أية مسألة من المسائل الفقهية لكونهم أجدر من أن يكونوا على حجة وبصيرة مما هم فيه ولو أنه مخالف للظاهر وقد قيل:

(فسلم لأهل الله في كل مشكل.. لديك لديهم واضح بالأدلة)
هذا ولا يجوز لأحد مهما كان عالما أن ينكر الشيء على أساس عدم وجود ذلك في علمه، لأن جوامع العلوم لم تتوفر لأحد سوى الرسول صلى الله عليه وسلم.
وإنما الواجب عليه قبل الشروع في الإنكار أن يعرضه على طرق الشريعة كلها و التي أشار إليها الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: (إن شريعتي جاءت على ثلاثمائة وستين طريقة ما سلك أحد منها طريقة إلا نجا.)

فإن لم يعرضه على هذه الطرق أولم تكن له معرفة بها أصلا، ففي إنكاره خطر عظيم. وقال العارف بالله: [١] من لم يحط بجملة الشريعة وقال آخر: وقل لمن يدعى علما ومعرفة * إنكاره لمهلك ذريعة حفظت شيئا وغابت عنك أشياء

ويستفاد من الحديث المذكور أنه لا يجوز اتهام المسلم العارف ولا إنكاره ما لم يخالف طرق الشريعة كلها، كما فعل ذلك عبد الرحمان الإفريقي، الذي سولت له نفسه

الإمارة بالسوء أن يؤلف كتابا في النقد على الطريقة التجانية والهجوم على شيخنا و سيلتنا إلى ربنا أبي العباس أحمد بن محمد التجاني [٢] وعلى خليفته المجاهد في الله الشيخ

الحاج عمر الفوتي رضي الله عنهما وقد سمي كتيبه هذا: ب " الأنوار الرحمانية لهداية الفرقة التجانية " وهو مطبوع يوزع مجانا إلى كل من يريده من المعارضين والمنتقدين لذلك

يسعى الوهابيون للحصول عليه ليزدادوا بغضا وحقدا للسادة الصوفية بصورة عامة و للتجانين بصورة خاصة...

وأنا شخصيا لن أهاجم على عبد الرحمان الإفريقي ولا أنتقم منه لعلمي بأنه إنما يحارب الله ورسوله بمعاداته لأولياء الله وأصفيائه. بدليل قوله تعالى في الحديث القدسي:

(من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب) رواه البخاري. وخصوصا هذا الولي الرباني و العارف الصمداني الشريف الحسني أحمد بن محمد التجاني رضي الله عنه وأرضاه الذي هو

يعتبر واحدا من أبرز علماء الإسلام وعلما من أعلام الشريعة والحقيقة. فشرفه الديني و النسبي، وتاريخه الحافل بالنشاطات الدينية والتوجيهات الربانية بالإضافة إلى مرتبته الموهوبة والمكسوبة يغنيننا عن الدفاع عنه والاحتجاج له فمناقبه رضي الله عنه ومواقفه واضحة ولا تحتاج الشمس إلى دليل.

أما إنكار عبد الرحمان الإفريقي على الطريقة التجانية ومبالغته في النقد عليها و على خاصة أصحاب الشيخ رضي الله عنهم فهو كما قيل: " وإذا أتتك مذمتي من ناقص *"

فهي الشهادة لي بأني كامل " أو كقول الإمام البوصيري رضي الله عنه. " قد تنكر العين

ضوء الشمس من رمد * وينكر الفم طعم الماء من سقم " هذا وتتوفر لدى الشيخ أحمد التجاني رضي الله عنه شواهد الكمالات الحسية و

(١) وهو السيد الحاج مالك سه رضي الله عنه في كتابه فاكهة الطلاب...
(٢) المتوفى. ١٢٣٠ هـ.

المعنوية وحسبه فخرا كونه بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو لم يكن فيه غير

هذا التعريف الذهبي لكفى.

فمن كانت هذه سيرته وهذا تعريفه لا يمكن لعبد الرحمان الإفريقي وأمثاله أن يدنسوا عرضه أو يشوشوا سمعته ولا يتضرر القمر بنبح الكلاب وأعرف يقينا بأن تأليفه لهذا الكتاب سيمثل له كالباحث عن حتفه بظلفه، وأنه سيحاسب عليه لما في الحديث: (من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى

يوم

القيامة)

وهذه المؤلفة من أسوأ المحدثات لما فيها من المنشورات الفظيعة والعبارات الشنيعة الموجهة مباشرة إلى الشيخ أحمد التجاني، وإلى الشيخ الحاج عمر الفوتي رضي الله

عنهما. والتي تهدف إلى تشويش سمعة الطريقة التجانية وإلى تجميدها وتحريفها عن موضعها.

وإذا كان هذا التأليف لا يأمرنا إلا بترك الطريقة التجانية التي مدارها الاستغفار، والهيللة، والصلاة على النبي. ولا ينهانا إلا من محبة السادة الصوفية وموالات أولياء الله تعالى. فما الفرق - يا ترى - بين هذا المؤلف المسبوق وبين أولئك الذين يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف..

وهناك من الوهابيين من أعرف أسماءهم وألقابهم يأخذون " كتاب جواهر المعاني " إلى الأسواق وإلى أنديتهم العامة رغم مستواهم السافل في العلوم والثقافة فيشرعون في مطالعته، جاهلين أو متجاهلين عن مستوى هذا الكتاب الرفيع وينظرون إليه

بعين الانكار والنقد والاستهزاء ويؤولون عباراته بأقبح التأويلات حين لا يعرفون أن للأولياء كلاما لا يفهمه إلا الخواص ورحم الله من قال:

" كلام الأولياء لست أفهم * لأنني أنا أنا وهم هم "

ويقول هؤلاء في الشيخ أحمد التجاني رضي الله عنه - على مرأى ومسمع من الناس - ما هو برئ منه. ويخوضون في قدح عرضه، وهتك حرماته ما أمكن لهم الخوض و

يتنافسون في ذلك حسب وقاحتهم وعنادهم ويمكرون به، وبطريقته ويمكر الله بهم وهو

خير الماكرين وهكذا شاءت الإرادة الإلهية أن يكون لأولياء الله في كل زمان ومكان

(۲۱)

أعداء يتحزبون ضدهم ويتآمرون - ليظفئوا نور الله بأفواههم - ويقولون في حقهم منكرا من

القول وزورا ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره متآمرون. وقد كانت لهذه الفرقة المتطرفة اليد الطولى في هذا المضمار لما جبل أفرادها من الشغف للطعن بأولياء الله وقدح أعراضهم وهتك حرمتهم وإساءة الأدب بهم بصفة لا مبرر لها ولم يسبق لها مثل.

الوهابية ومنعها التوسل بالأنبياء والصالحين قبل الشروع في تفاصيل هذا الموضوع والبحث عن أحكامه وأهدافه يجب أن نعرف أولاً أنه هو الموضوع الرئيسي الذي يمثل جوهر المشكلة ولب الخلاف بين الوهابيين

المتطرفين والمسلمين المعتدلين. ذلك لأن الوهابيين يمنعون التوسل بالأنبياء والأولياء والصالحين ويبالغون في نفيه وإنكاره بل ويحرمونه إطلاقاً ويزعمون أنه من الشرك بالله. ويحملون جميع الآيات القرآنية النازلة في المشركين ومن يعبدون الأصنام على المتوسلين والمستغِيثين بالأنبياء والصالحين. فمن هذه الآيات قوله تعالى: (ومن أضل ممن

يدعوا من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون * الأحقاف

: ٥) وقوله جل شأنه: (فلا تدعوا مع الله أحدا * الجن: ١٨) وقوله: (ولا تدع من دون الله

ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين * يونس: ١٠٦) ويزعمون أن كل من استغاث بالنبي صلى الله عليه وسلم أو توسل به أو بغيره من الأنبياء والأولياء والصالحين أو ناداهم أو سألهم الشفاعة يكون معدوداً في جملة هؤلاء المشركين وداخلاً في عموم وعيد هذه الآيات. وهو عندهم بمنزلة من يعبد الأصنام، و يتخذ من دون الله شركاء. ومن هنا ثارت ثائرة العداوة والخلافات وقامت القيامة بين أفراد المسلمين وجماعاتهم بصفة لا يمكن تسويتها طالما يصر الوهابيون على هذا الموقف

المتطرف المتمثل في تضليل الأمة أو تكفيرها و المتعارض لنصوص الكتاب والسنة و الاجماع.

والوهابيون - في هذا التأويل البعيد - معذورون من حيث الخطأ في فهم معنى كلمة " الدعاء " التي تأتي حيناً بمعنى العبادة وأحياناً بمعنى النداء وظنوا أن هذه الكلمة في جميع هذه الآيات وما أشبهها معناها النداء لا غير. ولذلك يحرمون نداء غير الله كما تحرم العبادة من دونه تعالى. وحيث ذهبوا هذا المذهب ووقفوا عند هذا الحد فهم مقصرون عن

إدراك كنه هذه الكلمة لغة واصطلاحاً فيجب أن نعذر لهم أو نذرهم.

وكلمة الدعاء في اللغة العربية لفظ مشترك بين عدة معان:

منها: العبادة كقوله تعالى: (أن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا * الجن: ١٨)

ومنها: النسبة كقوله تعالى: (ادعوهم لأبائهم * الأحزاب: ٥) أي انسبوهم إليهم

ومنها: النداء كقوله تعالى: (وادعوا شهداءكم من دون الله * البقرة: ٢٣) أي

نادوهم

ومنها: السؤال كقوله تعالى: (ادعوني أستجب لكم * المؤمن: ٦٠) أي أسألوني

ومنها: الدعوة إلى الشيء كقوله تعالى: (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة * النحل: ١٢٥)

الآية

ومنها التمني كقوله تعالى: (ولهم ما يدعون * يس: ٥٧)

ومنها: القول كقوله تعالى: (دعواهم فيها سبحانك اللهم * يونس: ١٠)

ومنها: التسمية كقوله تعالى: (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً *

النور: ٦٣)

وليس في القرآن الكريم ولا في اللغة العربية إن كلمة الدعاء تأتي بمعنى التوسل و

قد تحقق أن معنى التوسل غير معنى العبادة لغة وشرعاً. ولا سبيل إذا إلى تكفير

المسلمين

المتوسلين بجاه الصالحين بالقياسات الفاسدة اه فتأمل.

وكلمة " الدعاء " في جميع هذه الآيات الآنف الذكر وما أشبهها معناها العبادة

لا النداء.

ولا يخفى أن نداء غير الله تعالى كنداء الإنسان حياً أو ميتاً يجوز شرعاً وضروري

أيضاً لتعلقه على الحوائج الشرعية والمعاملات الدينية والدينية وقد جاء نداء الأموات

من الأحاديث الواردة في زيارة القبور كقول الزائر: (السلام عليكم يا أهل القبور السلام

عليكم أهل الديار من المؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون) ففي هذا النداء للأموات

خطابهم. وإنما يجب أن نميز بين كلمة " الدعاء " التي بمعنى العبادة والتي بمعنى النداء،

كيلا نضل ولا نضل...

أما التوسل فجائز شرعا ومرغوب فيه أيضا لأنه من فعل الأنبياء والسلف الصالحين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

وقد توسل أبونا آدم بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لما في الحديث: (لما اقترب آدم الخطيئة قال يا رب أسألك بحق محمد إلا ما غفرت لي فقال الله تعالى يا آدم كيف

عرفت محمدا ولم أخلقه قال يا رب إنك لما خلقتني رفعت رأسي رأيت على قوائم العرش

مكتوبا " لا إله إلا الله محمد رسول الله " فعلمت أنك لم تضيف اسمك إلا أحب الخلق إليك

فقال الله تعالى صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إلى وإذا سألتني بحقه فقد غفرت لك ولولا

محمد ما خلقتك) رواه الحاكم وصححه الطبراني.

وإلى هذا الحديث أشار الإمام مالك رضي الله عنه للخليفة المنصور لما سأله وهو بالمسجد النبوي فقال لمالك يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعو أم استقبل رسول الله صلى

الله عليه وسلم وأدعو؟ فقال له الإمام مالك رضي الله عنه ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم إلى الله تعالى بل استقبل واستشفع به فيشفعه الله فيك... وأما صدور التوسل من النبي صلى الله عليه وسلم فقد صح في أحاديث كثيرة منها قوله: (اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك)

وصح عنه صلى الله عليه وسلم أنه لما ماتت فاطمة بنت أسد أم علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ألقدها صلى الله عليه وسلم في القبر بيده الشريفة و قال: (اللهم

اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي إنك

أرحم الراحمين)

وكان الصحابة يتوسلون برسول الله في حياته وبعد وفاته صلى الله عليه وسلم. وقد روى البيهقي وابن أبي شيبة بإسناد صحيح: إن الناس أصابهم قحط في خلافة عمر رضي الله عنه فجاء بلال بن الحارث رضي الله عنه إلى القبر الشريف وكان من أصحاب

النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم هلكوا فأتاه رسول

الله
صلى الله عليه وسلم في المنام وأخبره أنهم يسقون وكان كذلك.

فإتيان هذا الصحابي الجليل إلى القبر الشريف ونداءه للرسول عليه السلام ليطلب منه أن يستسقى لأمته فهو دليل آخر على أنه جائز وهو من باب التوسل والتشفع

و الاستغاثة به صلى الله عليه وسلم وذلك من أعظم القربات وروي عن أنس بن مالك أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس ابن عبد المطلب وقال:

" اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا صلى الله عليه وسلم فتسقيننا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا " قال فيسقون انتهى وفعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه حجة على التحقيق لقوله صلى الله عليه وسلم في حقه: (إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه) ومما ذكر في هذا الباب دليل على أن التوسل بالأموات وخاصة عند أضرحتهم جائز لفعل بلال بن الحارث رضي الله عنه ذلك، عند القبر الشريف. وكذلك التوسل بغير الأنبياء جائز هو أيضا لموافقته، بفعل سيدنا عمر بن الخطاب. الذي توسل إلى الله بسيدنا عباس ابن عبد المطلب رضي الله عنه... ومن أدلة جواز التوسل قصة سواد بن قارب رضي الله عنه التي رواها الطبراني في الكبير وفيها أن سواد بن قارب أنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم قصيدة قال فيها:

" وأشهد أن الله لا رب غيره * وأنت أدنى المرسلين وسيلة
وأنت مأمون على كل غائب * إلى الله يا ابن الأكرمين الأطايب
وكن لي شفعا يوم لا ذو شفاعة * بمغن فتिला سواد بن قارب "
فلم ينكر عليه رسول الله قوله أدنى المرسلين وسيلة ولا قوله وكن لي شفيعا. و كذلك من أدلة التوسل مرثية صافية بنت عبد المطلب رضي الله عنها عمه رسول الله فإنها

رثته بعد وفاته صلى الله عليه وسلم بأبيات قالت فيها:
" ألا يا رسول الله أنت رجاؤنا * وكنت بنا برا ولم تك جافيا "
ففيها النداء بعد وفاته ولم ينكر عليها أحد من الصحابة قوله يا رسول الله أنت

رجاؤنا. وقد ذكر العلامة ابن حجر [١] في كتابه المسمى بالخيرات الحسان أن الإمام الشافعي

كان يتوسل بالإمام أبي حنيفة رضي الله عنهما وقد ثبت أيضا أن الإمام أحمد بن حنبل كان يتوسل بالإمام الشافعي وقد صح أن الشافعي رضي الله عنه توسل بأهل البيت النبوي بأبيات قال فيها:

" آل النبي ذريعتي * أرجو بهم أعطى غدا
هم إليه وسيلتي * بيدي اليمين صحيفتي "

فكل هذه توسلات صريحة صدرت بعضها عن رسول الله عليه وسلم وبعضها عن أصحابه الكرام وعن الأئمة المجتهدين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين وليس في ذلك كفر

ولا إشراك ومن تتبع أذكار السلف الصالحين وأدعيتهم وأورادهم وجد فيها شيئا كثيرا من التوسل ولم ينكر عليهم أحد في ذلك حتى جاء هؤلاء المنكرون الذين عمدوا إلى تحريمه وتوصلوا بذلك إلى تكفير أكثر الأمة من العلماء والعباد والزهاد وقالوا إنهم مثل أولئك المشركين الذين قالوا (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى * الزمر: ٣)
" سبحانك هذا بهتان عظيم! "

وحاصل شبهة هؤلاء المانعين للتوسل أنهم رأوا بعض العامة يأتون بألفاظ توهم أنهم يعتقدون التأثير لغير الله تعالى ويطلبون من الأولياء - أحياء وأمواتا - أشياء جرت العادة بأنها لا تطلب إلا من الله تعالى ويقولون للولي مثلا: افعل لي كذا وكذا أو نجني من كذا وكذا فأراد هؤلاء المانعون للتوسل أن يمنعوا العامة من تلك التوسعات دفعا للإيهام وسدا للذريعة.

نعم نحن نوافق مع هؤلاء المانعين في ناحية ونؤيدهم على منع العامة من تلك التوسعات المتطرفة ونقف بجانبهم في سد ذرائع الفساد ودفع الإيهام. ولكن من ناحية أخرى نقول لهم:

إذا كان الأمر كذلك وقصدكم سد الذريعة فما الحامل لكم على تكفير الأمة عالمهم وجاهلهم؟ وما الحامل لكم على منع التوسل مطلقا؟ بل كان ينبغي لكم أن تمنعوا

(١) شهاب الدين أحمد بن محمد المكي الشافعي المتوفى سنة: ٩٧٤

العامه من تلك الألفاظ الموهمة وتأمروهم بسلوك الأدب في التوسل دون تكفيرهم أو إشراكهم مع أن تلك الألفاظ يجب حملها على المجاز العقلي وهو جائز ومستعمل على السنة

جميع المسلمين ووارد في الكتاب العزيز والسنة المطهرة. ألا ترى أنه يجوز لأحدنا أن يقول

أعطاني فلان كذا ومنعني فلان عن كذا، أو نفعني زيد أو ضرني عمر، مع العلم بأن الله تعالى وحده هو الضار والنافع وهو المعطي والمانع فإسناد هذه الأفعال إلى غير الله تعالى

يعتبر مجازا عقليا لا يؤدي بقائه إلى الكفر ولا إلى الشرك وله شواهد كثيرة في الكتاب و

السنة. منها قوله تعالى: (وأضلهم السامري * طه: ٨٥) وقوله: (وقتل داود جالوت * البقرة: ٢٥١)

فإسناد الاضلال والقتل هنا إلى السامري وإلى داود مجازي. وإلا، قال لله تعالى وحده هو المضل والمميت وجاء في الحديث كما في صحيح البخاري في مبحث الحشر

ووقوف الناس للحساب يوم القيامة. (بينما هم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد

صلى الله عليه وسلم) فإسناد الاستغاثة إلى هؤلاء الأنبياء مجازي والمستغاث به، حقيقة هو الله تعالى وحده.

فهذه كلها أدلة ثابتة وبراهين قاطعة لجواز التوسل والاستغاثة بالأنبياء والأولياء والصالحين. وفيها الكفاية لمن أراد الله له الهداية والتوفيق وأما من انطمست بصيرته وانسدت حواسه. فما تغني عنه الآيات والنذر ولا يفيد الوعظ والتذكير.

ونحن في توسلنا بالأنبياء والأولياء لا نعتقد أنهم يستحقون العبادة ولا أنهم يخلقون شيئا أو يملكون ضرا أو نفعا، ولا نعتقد أن لهم تأثيرا في شئ من الأشياء وكلما

هنا لك بيننا وبين الأولياء إنما هو احترام فقط غير خارج عن حدود مرتبة المخلوق الموجود من

العدم والعائد إلى الفناء لا كتعظيم الخالق المعبود الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد. فنداؤنا بهم لا يعني سوى التبرك بأسمائهم، والاستئناس بذكرهم لكونهم عبادا مكرمين، اصطفاهم الله وهداهم، وخصهم بحظوة من عنايته الربانية، وفيضة من نفعاته الرحمانية، فبذكرهم تنزل الرحمات. وبه تحيي القلوب وتنشط العضلات.

وهذه هي غاية ما نقصد في التوسل بالأولياء والصالحين وليس فينا من يركع أو يسجد لنبي، أو لولي، أو لشيخ! ولكننا لا نعبد إلا الله ولا ندعو إلا إياه. وفي

الحديث:
(إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى) ونحن نحمد الله تعالى من المؤمنين

الموحدين بكل ما للكلمة من معنى .
فالتوحيد عقيدتنا والعمل به، شريعتنا فلن نحيد عن عقيدتنا ولن نهين
بشريعتنا. (وما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس
ولكن

أكثر الناس لا يشكرون * يوسف: ٣٨) أما أولئك الوهابيون الذين يتظاهرون بالذب عن
التوحيد ويجوزون التوسل بالأحياء والاستعانة بهم في أمر من الأمور الدنيوية ويحرمون
ذلك في الأموات قد دخلوا في الشرك من حيث لا يشعرون لكونهم اعتقدوا تأثير
الأحياء

دون الأموات مع أنه لا تأثير لأحد في الحقيقة حيا كان أو ميتا وإنما المؤثر الحقيقي
هو الله
تعالى وحده...

فلينتبه الوهابيون لهذه الحقائق وليعلموا أن ليس في هذه التوسلات ما يستلزم
تكفير المسلم، الذي يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله. ولمزيد من
التوضيح في

هذا الموضوع فإن منكري التوسل بالأنبياء والصالحين قد لا ينكرون على مناسك الحج
التي
فرضها الله علينا والتي من بينها: الطواف بالبيت العتيق وتقبيل الحجر الأسود والسعي
بين الصفا والمروة والوقوف بعرفات.

ومعلوم أن هذه الأشياء ليست إلا جمادات لا تضر ولا تنفع ولكن قد شرفها الله
تعالى وعظمها وأمرنا كذلك بتعظيمها والتبرك بها والدعاء عندها بجميع حوائجنا
الدنيوية والأخروية.

ونحن نعلم علم اليقين بأنها لا تأثير لها في قضاء الحوائج ولا قدرة لها على صرف
الأقدار ولكن هل يقال إن من قصدها أو تضرع لديها قد كفر بالله أو أشرك به؟ لا! و
كلا!

فإذا كانت الجمادات قد حازت هذه الفضائل بمحض فضل الله وإرادته فكيف
بأنبياء الله وأوليائه، الذين هم سادة الخلق وقادة الأنام فعند ذكرهم تنزل الرحمات و
بسبب وجودهم ترفع النقمات.

هذا ومن الخطأ الواضح ما زعمه الوهابيون وعقدوا عليه العزم وهو أن نداء
الأنبياء أو الأولياء نوع من أنواع الشرك لأنه نداء لغير الله ويقولون بأن ظاهر النداء لا
بد و

أن يدل على أن المنادى يعتقد من المنادى به القدرة أو التأثير. وحينئذ فاعتقاد القدرة
أو

التأثير من أحد غير الله تعالى شرك لا محالة.
نعم قد يكون هذا الرأي الخاطئ وهو الآخر من جملة أوهامهم التي خالفوا بها
الاجماع. ولكن لو استسلمنا بحكم هذه القاعدة فلسوف نجد أن ظاهر الصلاة والصيام
و
النطق بالشهادتين يدل هو أيضا على الإيمان بالله والتصديق بما جاء به الرسول الكريم.

و
إذن فما بال هؤلاء الوهابيين الذين قرروا أن يكفروا المسلمين بظاهر النداء، وقد عجزوا
أن يعترفوا لهم بالإسلام بظاهر الصلاة والصوم والنطق بالشهادتين. فهل هذا - إن صح
التعبير - إلا نوع من الجمود. أو أثر من آثار الجهل الذي هو أشد من الكفر...
وخلاصة الكلام: فإن المحذور شرعا في التوسل هو اعتقاد التأثير من أحد غير الله
تعالى كائنا من كان وهو شرك اتفاقا سواء كان ذلك الاعتقاد في نبي أو ولي أو صالح
أو

حيوان أو جماد أو في أي شئ كائن ما كان وأما من لم يعتقد التأثير في أحد غير الله
تعالى فلا

إثم عليه وليس في مجرد التوسل والاستغاثة بالأنبياء والصالحين ضرر ما دام الاعتقاد
سالما.

أما محبة أولياء الله تعالى والصالحين وصحبتهم لله والتصديق لخدمتهم والتأدب
لهم والتبرك بهم فكلها جائز لا يمنعها الشرع بل يأمر بها ويحث عليها لأنها من أعمال
البر

الموجبة للفوز والسعادة في الدارين. ولا ينكر ذلك منكر لثبوتها بالأدلة العقلية والنقلية
المتواترة. وأصدقها قصة كلب أهل الكهف الوارد ذكرها في القرآن الكريم... وإن
شئت فاقرا قوله تعالى: (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجا *
الكهف: ٩)

فإن هذا الكلب لم يصل إلى هذه المرتبة إلا بصحبة الصالحين ومحبتهم لقد
أحسن من قال:

" واختر من الإخوان كل مهتد * " وصحبة الأخيار للقلب دوا
إن القرين بالقرين يقتدى " * تزيد في المرء نشاطا وقوى "

وأخيرا نحثم هذا الموضوع بتحذير أولئك الذين يكفرون المتوسلين والمستغيثين
بالأنبياء والصالحين أن يكفوا عن ذلك لأنه قد يفضيهم إلى ارتكاب الذنوب ويؤدي إلى

تكفيرهم لجميع الأمة أو أكثرها وهو مستحيل لقوله تعالى: (كنتم خير أمة أخرجت للناس * آل عمران: ١١٠) الآية من سورة آل عمران ولقوله عليه الصلاة والسلام: (لا تجتمع أمتي على ضلالة) حديث شريف أخرجه الترمذي ما هو الشرك؟ وكم أنواعه؟

الشرك هو الاعتقاد بقلبه إن هناك أحدا يستحق العبادة من دون الله تعالى أو هناك من يشارك الله في الألوهية أو يساعده في الإيجاد والتأثير. ومن الشرك أيضا الاعتقاد بقلبه إن هناك من يملك لنفسه أو لغيره جلب المنافع أو دفع المضار أو هناك من يمكن له التصرف في الأمور أو التأثير في الكائنات من تلقاء نفسه.

ومهما اعتقد المرء شيئا من هذه المذكورات في واحد من المخلوقات، سواء اعتقدها في نبي أو في ولي أو في شيخ أو في حيوان أو في جماد كان مشركا حقا بالإجماع. لأن المخلوقات كلها على اختلاف أشكالها وتنوع أجناسها لا تستحق العبادة مطلقا وهي لا تملك جلب المنافع ولا دفع المضار ولا قدرة لها على التأثير في حد ذاتها فاعتقاد ذلك على

أي مخلوق، آدمي كان أو غيره هو الشرك الأكبر وهو الكفر الصريح. هذا وليس من المستحيل ولا من الغريب أن يقع بعض الناس غير المعصومين في أودية الكفر والضلال بينما ينهمك البعض الثاني في المعاصي والمنكرات حين يتقيد البعض الآخر بالشرعية الإسلامية والسنة الغراء. ولا تستغرب هذه الاتجاهات المختلفة والظواهر المتضادة بين أفراد المسلمين وجماعاتهم لأن الله تعالى قد خلق الناس وهم مختلفون في الذكاء والغباوة والضعف والقوة ومتفاوتون في الجهل والمعرفة والاجتهاد والتقصير وتبعاً لهذا الاختلاف الطبيعي و

التفاوت الفطري فمنهم من يقترب من الإسلام إلى حد مرضى عنه بحيث يأتى الأوامر ويجتنب النواهي، ومنهم من يبتعد عنه وينحرف عن جادته المستقيمة حسب حال كل فرد وطبيعته وإلى تلك المراتب المتفاوتة أشار القرآن الكريم بقوله: (ثم أورثنا الكتاب

الذين اصطفينا من عبادنا * فاطر: ٣٢) ولكن هذا الابتعاد لا يخرج المسلم المقصر عن دائرة

الإسلام ما دام يدين بالولاء لهذا الدين الحنيف وينتسب إليه فإذا صدر من المسلم بعض الأقوال أو التصرفات مما يدل ظاهرها على الكفر وهو لم يرد بها تغيير إسلامه ولا ارتداد

عن دينه فلا يحكم عليه بالكفر ولا بالردة ومهما تورط المسلم في المآثم واقترف من جرائم

فهو مسلم، لا يجوز اتهامه بالردة أو الكفر وقد روى البخاري أن رسول الله صلى الله عليه و

سلم قال: (من شهد أن لا إله إلا الله واستقبل قبلتنا وصلّى صلاتنا وأكل ذبيحتنا فهو المسلم له ما للمسلم وعليه ما على المسلم) وقد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين من أن يقذف بعضهم بعضا بالكفر لعظم خطر هذه الجناية وقال فيما رواه مسلم

عن ابن عمر: (إذا كفر الرجل أخاه فقد باء به أحدهما)

ولا يعتبر المسلم خارجا عن الإسلام ولا يحكم عليه بالردة إلا إذا انشرح صدره بالكفر واطمأن به قلبه ودخل فيه بالفعل لقوله تعالى: (ولكن من شرح بالكفر صدرا * النحل: ١٠٦) ويقول الرسول عليه السلام: (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى)

ومذهب أهل السنة والجماعة التحاشي عن تكفير كل من انتسب للإسلام حتى أنهم كانوا يكفون عن تكفير أئمة أهل البدع مع الأمر بقتلهم وذلك دفعا لضررهم لا لكفرهم.

هذا ولما كان ما في القلب غيبا من الغيوب التي لا يعلمها إلا الله تعالى وحده كان ولا بد من الكف عن تكفير المسلم حتى يصدر منه ما يدل على كفره دلالة قطعية لا تحتمل التأويل.

وقد نسب إلى الإمام مالك رضي الله عنه أنه قال: من صدر عنه ما يحتمل الكفر من تسعة وتسعين وجها ويحتمل الإيمان من وجه واحد حمل أمره إلى الإيمان. فالشرك هو الكفر باللفظ والمعنى وبالجملة والتفصيل وهما ضد التوحيد المقرر من أصل الأديان السماوية عامة. ومن أصل هذا الدين الإسلامي خاصة. بشهادة الله في كتابه العزيز حيث يقول تعالى: (شهد الله أنه لا إله إلا هو * آل عمران: ١٨) فالمشرك بالله هو الكافر به الجاحد بوحدانيته المكذب بالأنبياء والرسل وبما جاؤوا به

من عند الله من الدين والشرائع وهو أعظم أنواع الضلالة وأشدّها على الله وفيه من الوعيد ما ليس في غيره من جميع المعاصي. لقد صرح القرآن الكريم ونبه في عدة آيات عن

خطورة الشرك وحذر من ارتكابه معلنا بأن الشرك لظلم عظيم. وقال جل من قائل: (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء * النساء: ٤٨) وقال: (إنه من يشرك

بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار * المائدة: ٧٢) وقال مخاطبا لحبيبه المصطفى:

(ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين * الزمر: ٦٥)

وهذه الآيات القرآنية وأمثالها الكثيرة في كتاب الله العزيز لا تترك مجالاً للشك في أن الشرك لعظيم وعواقبه وخيم.

هذا وينقسم الشرك إلى ستة أنواع. شرك الاستقلال وهو إثبات إلهين مستقلين كشرك المجوس. شرك التبعية وهو تركيب الإله من عدة آلهة كشرك النصارى. شرك التقريب وهو عبادة غير الله تعالى ليقربه إلى الله زلفى كشرك مقدمي الجاهلية. شرك التقليد وهو عبادة غير الله تعالى ليقربه إلى الله زلفى كشرك مقدمي الجاهلية. شرك التقليد وهو عبادة غير الله تبعاً للغير كشرك متأخري الجاهلية. شرك الأسباب وهو إسناد

التأثير للأسباب العادية كشرك الفلاسفة والطبيين ومن تبعهم على ذلك. شرك الاعراض وهو العمل لغير الله تعالى كالرياء لقوله عليه الصلاة والسلام: (الرياء هو الشرك الأصغر) "أخرجه أحمد"

فحكم الأربعة الأولى الكفر بالإجماع. وحكم السادس المعصية من غير كفر بالإجماع. وحكم الخامس فيه التفصيل:

فمن اعتقد في الأسباب إنها تؤثر بطبعها فهو كافر بالإجماع ومن اعتقد إنها تؤثر بقوة أودعها الله فيها، وإنها أسباب عادية فقط. وقد تتخلف عن مسبباتها في بعض الأحيان، والمؤثر في الأشياء حقيقة هو الله تعالى وحدة فهو مسلم بالإجماع.

وعلى هذا فإن الشرك في الدين الإسلامي ضربان: أحدهما الشرك الجلي، وهو الإشراف في العبودية، وذلك أعظم كفر ونعوذ بالله منه. والثاني: الشرك الخفي وهو مراعاة غير الله معه في بعض الأمور كأعمال المرأين وقد ورد في الحديث النبوي: (الشرك

في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل على الصفاء) ويعني بذلك "الرياء" لقوله عليه

السلام في حديث آخر: (الرياء هو الشرك الأصغر) رواه أحمد
فهذا الشرك المذكور الحاصل بالرياء لا يخرج المسلم عن دائرة الإسلام، وإنما
يحبط الأعمال فقط كما وقع عليه الاجماع. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
(من)

عمل عملاً أشرك فيه غير الله فعمله مردود عليه)
وأما الكفر فهو أيضاً على أربعة أقسام: كفر الإنكار، وذلك بأن لا يعرف الله
أصلاً ولا يعترف به وكفر الجحود، وكفر المعاندة، وكفر النفاق، فمن لقي ربه بواحدة
من هذه لم يغفر له. ويغفر الله ما دون ذلك لمن يشاء.
فأما كفر الإنكار، فهو أن يكفر بقلبه ولسانه ولا يعرف ما يذكر له من التوحيد و
العبادات.

وأما كفر الجحود فهو أن يعترف بقلبه ولا يقر بلسانه ككفر إبليس وجنوده من
شياطين الإنس والجن.

وأما كفر المعاندة فهو أن يعرف الله بقلبه ويقر بلسانه ولا يدين به ككفر
أبي جهل وأضرابه.

وأما كفر النفاق فهو الاقرار باللسان وعدم الاعتقاد في القلب كالمنافقين الذين
كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم في ذلك إلى يوم القيامة.
والكفر - على وجه التحديد - إنما يكون بإنكار الضروريات من الدين
الإسلامي، كإنكار وجود الباري ووحدانيته، وإنكار رسالة محمد صلى الله عليه وسلم،
أو رسالة واحد من الرسل عليهم الصلاة والسلام أو بإنكار الفرائض كوجوب الصلاة أو
بإنكار واحدة من القواعد الإسلامية الخمسة التي بني عليها الإسلام.

الوهابية وإنكارها للبدع مطلقا
يغتتم الوهابيون كل فرصة ممكنة للهجوم على المسلمين والتوجيه إليهم انتقادات
حادة وخارجة عن الموضوع ويحاربونهم بشتى الطرق والوسائل.
فمن ذلك إلقاؤهم على المسلمين شبهات للتلبيس عليهم دينهم وتشويش
عقائدهم ويحاولون إحباط أعمالهم وبطردهم عن حظيرة الإسلام و إبعادهم عن حدود
السنة. وهاهم أيضا ينكرون على البدع كلها دون مراعاة ما يجوز إنكاره منها وما لا
يجوز
إنكاره ويحتجون بالحديث القائل: (كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار) رواه أبو
داود
وقد ساقهم ظاهر هذا القول إلى تكفير جماعة من المسلمين ودم كثير من الأبرياء ولو
أنهم
فهموا معنى الحديث لعلموا أن الأمر ليس كما يظنون.
فالكل في اللغة العربية يأتي بمعنى البعض والبعض يأتي هو أيضا بمعنى الكل.
فتأمل فقوله صلى الله عليه وسلم كل بدعة ضلالة من العام المخصوص.
والبدعة كما ذكرها العلماء والفقهاء تنقسم إلى خمسة أقسام: واجبة، و
مندوبة، ومباحة، ومكروهة، وحرام. وكلها مفصلة في الكتب المطولات. فمن لم يقدر
على تمييزها كلها فحقه السكوت وإلا خيف عليه أن يحلل الحرام أو يحرم الحلال
وكلاهما
ممنوع شرعا وفي الحديث: (من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم
القيامة
ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة) رواه مسلم والنسائي
وهذا الحديث أقوى دليل على أن البدعة إذا كانت حسنة فهي داخلة في عموم
الشريعة المحمدية، وإنكارها هو البدعة المحرمة والدليل عليه في القرآن الكريم قوله
تعالى: (إنا نحن نحبي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم * يس: ١٢)
وإذا تأملت الحديث المذكور علمت بأنه صلى الله عليه وسلم قد أجاز لنا
ابتداع ما هو حسن وسماه سنة وجعل فيه الأجر للذي ابتدعه أولا، ولمن عمل به، إلى
يوم القيامة ثانيا ولا يسمى شئ بدعة حتى يخالف صريح الكتاب والسنة فمتى وافقهما
فهو سنة حسنة يكون لمبتدعه أجره وأجر من عمل به، إلى يوم القيامة.

قد قال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه في صلاة التراويح. " نعمت البدعة هذه "

هذا ولا بد من التمييز بين البدعة المستحسنة والبدعة المستقبحة والاعتراف بواقعية كل منهما وإلا فلا مجال للإنكار...
ومعلوم أن العلماء قد اشترطوا لجواز النهي عن المنكر شرطين: الأول معرفة المنكر والثاني أن لا يؤدي نهيهِ إلى ارتكاب ما هو أعظم منه
وأكثر الوهابيين فيما يمكرونها اليوم، من البدع والمكروهات يرتكبون أعظم منها لأنهم بإنكار هذه البدع يكفرون المسلمين الموحدين الذين هم في واد والكفر في واد

- لا جرم - أن تكفير المسلم الموحّد أكبر وأخطر من ارتكاب بعض البدع والمكروهات.

وأعجب شيء منهم هو أنهم يتأثرون للبدع والمكروهات وينكرون عليها بشدة، أكثر مما ينكرون على المحرمات كالكذب والغيبة والسخرية ونحوها من الكبائر. وقلما

يوجد منهم من يتأثر لهذه الكبائر الغاشية تأثيره للبدع والمكروهات وشأنهم هذا شأن من

يبنى قصرا ويهدم مصرا. وكان عليهم أن يقدموا الأهم فالأهم..
ولا يخفى أن القاعدة الإسلامية تقتضي أن لا يقول أحد قولاً ولا يفعل فعلاً حتى يعلم حكم الله فيه، وإلا فهو على خطر يخشى منه تحريم الحلال أو تحليل الحرام..
ولا

يعتنى بهذا إننا نجوز البدع كلها أو نسعى إلى تشجيع البدعيين والمخالفين، بل بالعكس!

فنحن ضد البدع المخالفة للكتاب والسنة وضد الأوهام والخرافات الباطلة أيا كان مصدرها نسعى إلى قمعها والقضاء عليها بكل ما أوتينا من حول وقوة. ولكننا في نفس الوقت نعتزف بأن هناك بدعا لا بأس بها إذا كانت هذه البدع تعين على أداء الواجبات أو المسنونات لأن كل ما يتوصل به إلى الواجب واجب. وما يتوصل به إلى السنة مندوب.

ونؤمن كذلك بأن البدع - كما ذكرها الفقهاء - تنقسم إلى خمسة أقسام واجبة، ومندوبة، ومباحة، ومكروهة، وحرام. لكل واحدة منها حكمها ومنزلتها.

ولذلك نرى وجوب التمييز بين البدعة الحسنة والبدعة القبيحة لنسمي الأولى سنة كما في الحديث: (من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة)

ونسمي الأخرى بدعة كما في حديث آخر: (كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار)



(३०)

ولا ينبغي أن نحكم على البدع كلها من خلال ظاهر الحديث القائل كل بدعة ضلالة. لعلمنا بأن هناك أشياء نستعملها اليوم في شئوننا الدينية والإدارية تمشيا مع تطور

العصر الحديث مع أن تلك الأشياء لم تكن موجودة ولا هي مستعملة في حياة الرسول ولا

في زمن الصحابة وإنما ابتدعت من بعدهم رضوان الله تعالى عليهم. وإذا صح القول بأن كل ما لم يفعله الرسول صلى الله عليه وسلم فهو بدعة موجبة للدخول في النار. فكيف بنا ونحن نتوجه كل سنة إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج عن

طريق الجو أو عن طريق البواخر والسيارات؟ مع العلم بأنه صلى الله عليه وسلم لم يدخل

مكة قط بواسطة هذه المخترعات الحديثة ونعلم أن مسجده صلى الله عليه وسلم لم يكن

مجهزا بمكبرات الصوت ولا المراوح الكهربائية كما هي الحال في مساجدنا اليوم ولم يبلغنا قط إنه صلى الله عليه وسلم صام أو أفطر بإخبار الإذاعات أو البرقيات كما نصوم الآن ونفطر بها.

وإذا كانت عبادتنا هذه كلها باطلة لاعتمادها على أشياء محدثة لم يفعلها الرسول ولم يباشر بها في حياته، فمن ينجو منا؟ ومتى يمكننا تصديق قوله صلى الله عليه و

سلم: (لا تجتمع أمتي على ضلالة) حديث شريف أخرجه الترمذي وقد قسم ابن عبد السلام [١] الحوادث إلى الأحكام الخمسة فقال: البدعة فعل ما لم يعهد في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنها واجبة كتعلم النحو وغريب الكتاب و

السنة ونحوهما مما يتوقف فهم الشريعة عليه. ومنها محرمة كمذهب القدرية والجبرية و

المجسمة. ومنها مندوبة كإحداث الروابط والمدارس والمستشفيات وبناء القناطر وكل إحسان لم يعهد في العصر الأول. ومنها مكروهة كزخرفة المساجد وتزويق المصاحف. و

منها مباحة كالمصافحة عقب صلاة الصبح والعصر والتوسع في المأكل والمشرب والملبس وغير ذلك.

ومن البدع المستحسنة أيضا الكتب والتصانيف فهي محدثة لم يكن شئ منها في زمن الصحابة وإنما حدثت بعد سنة مائة وعشرين من الهجرة بعد وفاة جميع

الصحابة و
جملة التابعين رضي الله عنهم أجمعين.

(١) عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام الشافعي المتوفى سنة ٦٦٠ هـ.

بيان في أحكام الطرق والأوراد الصوفية

هذا ومن الجدير بالذكران من الوهابيين من ينكرون الطرق والأذكار الصوفية كالتجانية والقادرية والشاذلية ونحوها ويرفضونها رفضا بتا ويرونها من البدع القبيحة ويقولون بأنها لم تكن في زمن الرسول ولم يفعلها الصحابة ولا التابعون ويحملون الناس

على تركها بكل ما لديهم من حول وقوة. ويستدلون ببعض الآيات القرآنية كقوله تعالى:

(اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً * المائدة: ٣)

وقوله: (وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله * الأنعام

: ١٥٣)

ويزعمون بأن هذه الأوراد هي السبل المعنية في نص الآية. وجوابنا على هذه الأدلة بأنها بعيدة عن الحق بعد المشرق من المغرب فهذه الآيات وما شاكلها لا علاقة لها بنفي الورد أصلاً وقد أخطأ فهمهم هنا خطأ فاحشاً وناهيك عما

فيه من تحريف القرآن الكريم وافتراء الكذب على الله تعالى. فتفسير هذه الآيات و معانيها معروفة بتقرير الفقهاء والمفسرين ومن أراد الوقوف على حقيقتها فليطالع كتب التفسير.

أما الطرق الصوفية - كما يمكن أن نعرفها - إنما هي جمعيات دينية شكلت للتعاون على ذكر الله والصلاة على نبيه بشروط وأنظمة معينة تتفق مع مبادئ الإسلام وأهدافه. وأركانها ثلاثة وهي الاستغفار، والهيللة، والصلاة على النبي. والهدف من تشكيل هذه الجمعيات الدينية - في نظر السادة الصوفية - هو مجرد التقرب إلى الله تعالى بالأذكار التي أمر الله عباده بذكرها بعد أداء فرائضهم قال الله عزو

جل: (فإذا قضيت الصلاة فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم * النساء: ١٠٣) و امتثال أمره تعالى بقوله: (فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون * البقرة: ١٥٢)

و

قوله: (وتعاونوا على البر والتقوى * المائدة: ٢)

وقد رأوا أن التعاون على ذكر الله والصلاة على نبيه أفضل وأهم من جميع أنواع

التعاون لقوله تعالى: (ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون * العنكبوت: ٤٥) هذا ومن المعلوم بالضرورة أن هذه الأذكار التي ينكرونها مأخوذة كلها من الكتاب والسنة وهي دائرة بين الاستغفار، والهيلة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

وأما الاستغفار فقد ورد ذكره في القرآن الكريم بصيغة الأمر في عدة مواضع، منها قوله تعالى: (فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا * النصر: ٣)، (وأن استغفروا ربكم ثم

توبوا إليه * هود: ٣)

وأما الأحاديث الواردة في الاستغفار فكثيرة لا يمكن حصرها فمنها قوله عليه الصلاة والسلام: (يا أيها الناس توبوا إلى الله جميعا واستغفروه فإني أتوب في اليوم مائة مرة) رواه مسلم. وقال عليه السلام: (ما من عبد ولا أمة يستغفر الله في اليوم سبعين مرة إلا غفر

الله له سبعمائة ذنب وقد خاب عبدا أو أمة عمل في يوم وليلة أكثر من سبعمائة ذنب) رواه

البيهقي

أما الصلاة على النبي فقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: (إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما * الأحزاب: ٥٦) وفي الحديث: (من صلى الله علي صلاة واحدة صلى الله عليه عشرا ومن صلى على عشرا صلى الله

عليه مائة ومن صلى على مائة كتب الله بين عينيه براءة من النار وأسكنه الله تعالى يوم القيامة مع الشهداء) رواه مسلم

أما الهيلة - لا إله إلا الله - فقد قال تعالى: (فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك * محمد: ١٩) وقال عليه السلام: (أفضل الذكر لا إله إلا الله) رواه ابن ماجه والنسائي. وقال أيضا: (أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله) رواه مالك بن أنس عن طلحة

فمن هذه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة استخرجت الأذكار المذكورة واتخذها السادة الصوفية طرقا لهم بهدف التقرب إلى الله والوصول إليه لا غير فمن

زعم أن لهم غرضا غير ذلك أو هدفا دون هذا فقد افتري وقد تبين أنها مأخوذة كلها من

القرآن الكريم والأحاديث الشريفة فلا ينكر عليها إلا الجاهل الأحمق أو السفیه المطلق.

وقد بشر الله الذاكرين بقوله تعالى: (والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة

وأجرا عظيما * الأحزاب: ٣٥) وقال أيضا: (واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون * الجمعة

١٠) فلا يضرنا إذا إنكار المنكر بما هو موافق للكتاب والسنة. هذا وقد ورد في كتاب " ذكر الله تعالى " لمؤلفه الحاج سعد بن عمر بعد أن أورد جملة من الآيات والأحاديث الدالة على وجوب الذكر والحث عليه قال سيادته: فمما تقدم من النصوص الصريحة نعلم ونتحقق بأن الاستغفار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والشهادة أن لا إله إلا الله أذكار حث عليها الكتاب والسنة ورغبا في ذكرها

ووعده الله عليهما ورسوله الثواب الجزيل وغفران الذنوب والدخول في الجنان وأن الرسول عليه السلام وأصحابه الكرام داوموا على ذكرها مدى حياتهم. فبناء على هذا نصرح بكل وضوح إن الورد التجاني الذي ليس إلا كواحد من هذه الأذكار الجليلة لا يكون بوجه من الوجوه حراما أو بدعة قبيحة كما لا يصح القول بأن

الشيخ أحمد التجاني رضي الله عنه اخترعه من عند نفسه بل هي أذكار قرآنية محضه لا غبار فيها.

فإن قال قائل بأن الورد المذكور ليس من الدين لأن الدين قد تم قبله لقوله تعالى: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا * المائدة: ٣)

ولقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة رسوله) رواه مالك رحمه الله نقول وأي دين تم قبل لا إله إلا الله وقبل الاستغفار وقبل الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعلوم أن هذه الألفاظ الثلاثة هي أركان الورد التجاني وعليها مداره فإن كان القائل يعني بتمام الدين الإسلامي نقول فإن الله تعالى جعل لا إله إلا الله مفتاحه والاستغفار مذهب ذنوب أهله و

الصلاة على النبي معرفة جميل نبيه وقد نطق بها الكتاب والسنة وعمل بها الرسول عليه السلام وأصحابه الكرام والصالحون من أمته وسيعمل بها المسلمون إلى يوم القيامة سواء

كانوا تجانيين أو غير تجانيين فلا نجاه لأحد ممن يتدين بالدين الإسلامي دونها ". هذا وللطرق الصوفية دور هام في تحقيق الدعوة الإسلامية وأثر بارز في التأليف بين قلوب المسلمين وجمع كلمتهم وحملهم على التمسك بالكتاب والسنة، وتعمير

بيوت

(٣٩)

أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه بالصلاة والتسبيح والتهليل بالغدو والآصال.
وتعتبر الطريقة التجانية بيت القصيدة في نظم هذه الطرق الصوفية وقد أخطأ من
أنكر على هذه الطرق الدينية وزعم أنها بدعة مخالفة للكتاب والسنة أو اتهم زعماءها و
اعترض عليهم.

هذا ولا ينكر أحد بأن الإسلام ما انتشر هنا في إفريقيا السوداء إلا بفضل جهود
شيوخ الطرق من أمثال الحاج عمر الفوتي. والشيخ أحمد أمير حمد الله والشيخ محمد
عبد

الله سعاد. والشيخ عثمان فودي والعلامة الشيخ محمد بابو والسيد الحاج مالك سه و
غيرهم رضي الله عنهم

وقد قال الشيخ أحمد التجاني رضي الله عنه: " وشرط هذا الورد المحافظة على
الصلوات الخمس في الجماعات والأموال الشرعية. وإياكم ولباس حلة الأمن من مكر
الله

فإنه عين الهلاك وترك المقاطعة مع جميع الخلق وأكد ذلك بينكم وبين الإخوان في
الطريقة. "

وهذا دليل آخر على مدى اهتمام الطريقة التجانية بالصلاة التي هي عماد
الدين، وإنها تحث على مواصلة الأرحام وعدم الأمن من مكر الله ومع ذلك فأورادها
لم

تزاحم الفرائض ولا السنن في أوقاتهم بل هي مؤقتة في أوقات ندب فيها الذكر خاصة
و

هي من بعد صلاة الصبح إلى طلوع الشمس وبعد صلاة العصر إلى الغروب.
وأما ما ورد في كتب الطريقة من فضائل الذكر، وإن من أخذ الورد التجاني و
داوم عليه إلى الممات أنه يدخل الجنة بغير حساب ولا عقاب هو ووالده وأزواجه
وذريته

إن سلم الجميع من الانتقاد. فهذه الوعود كلها داخلة تحت وعد الله ورسوله، وهي
صادقة إن شاء الله تعالى.

ووجه ذلك قد سبق أن علمت بأن الورد التجاني ما هو إلا الاستغفار، والهيللة و
الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم. فالآيات القرآنية والأحاديث النبوية تصرح في
أكثر من موضع فضل الذكر بهذه الصيغ وما وعده الله للذاكرين بها قال الله تعالى: (و
الذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما * الأحزاب ٣٥) وقال:

(و)
اذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون * الجمعة: ١٠) وفي الحديث: (ما من قوم اجتمعوا
يذكرون

الله عز وجل لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا نادى مناد من السماء أن قوموا مغفوراً لكم
قد

بدلت سيئاتكم حسنات) رواه أحمد. فهذه وعود صريحة بالمغفرة ودخول في الجنة
وعدها

الله للذاكرين وهو تعالى صادق الوعد ولا يخلف الميعاد.

وأما ما يخص والديهم وأزواجهم وذرياتهم فقد قال تعالى: (جنات عدن
يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم* رعد: ٢٣) وفي الحديث عن ابن
عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله عز وجل ليرفع
ذرية المؤمن معه في درجته في الجنة وإن كان لم يبلغها بعمله لتقربهم عينه) ثم قرأ: (و
الذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء)
فمن تأمل هذه الآيات والأحاديث النبوية تحقق بأن وعد الشيخ رضي الله عنه
للذين حافظوا على الأوراد بشروطها تابع لوعده الله تعالى في القرآن وعلى لسان رسوله
صلى

الله عليه وسلم وغير خارج عن حدود الشريعة المطهرة فلا لوم على الذين تعلقوا بهذه
الوعود الصادقة متكئين على الله تعالى القائل في كتابه، العزيز: (قل يا عبادي الذين
أسرفوا

على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم
* الزمر

: (٥٣)

وأما ما يقوله أو يفعله بعض الجهال المنتسبين إلى الطريقة التجانية مما يخالف
الشريعة الإسلامية فإن الشيخ رضي الله عنه ليس مسؤولاً عنهم وطريقته بريئة منهم كما
أن الرسول عليه الصلاة والسلام ليس بمسؤول عن أعمال جهلة المسلمين من أمته
والدين

الإسلامي هو أيضاً برئ مما يفعله بعض المسلمين المنحرفين. وليس لأحد حجة على
الشيخ

بعد قوله رضي الله عنه: " وإذا أمرتكم بأمر زنوه بميزان الشرع فإن وافق فاعلموا به
وإن

خالف فاتركوه "

فعبارات الشيخ هذه تطابق تماماً مع ما قاله سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه
حينما بويع بالخلافة وقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه: " أيها الناس أطيعوني ما أطعت
الله وإن عصيته فلا طاعة لي عليكم يغفر الله لنا ولكم " . ه .

(٤١)

الوهابية ونفيها بتقليد أئمة المذاهب ينتهج الوهابيون المتطرفون في هذه المسألة نهجا خارقا للإجماع ومعارضاً لأقوال العلماء وآراء الفقهاء. وذلك أنهم ينكرون أئمة المذاهب وكتبهم الفقهية وينفون التقليد بهم والتقييد بمذاهبهم زاعمين أن لهم الحق في استنباط الأحكام والمسائل من القرآن والحديث مباشرة دون التقييد بمذهب من المذاهب أو التقليد بإمام من أئمة الدين.

وهذا - في الواقع - تلبس عظيم غرروا به العوام من الجهال وصغار الطلبة حتى أوقعوهم من حيث لا يخرجون. وقد يكون دافعهم الوحيد إلى هذا التلبس هو محاولة تعطيل هذه المذاهب الأربعة والقضاء عليها ليفسحوا المجال أمامهم كي يتسنى لهم تحقيق أغراضهم الشخصية المتمثلة في حب الظهور وعدم اعتراف الغير. كما يحاولون من خلال توجيهاتهم السخيفة إلى تضليل العوام عن دور هذه المذاهب وتصريفهم عن تعلم الفقه والاهتمام به كوسيلة لمعرفة شرائع الإسلام وأحكام العبادات بينما لا يمكن تعطيل هذه المذاهب ولا الاستغناء عنها لأنها قد وضعت خصيصاً

لتفصيل وتبيين ما جاء في القرآن الكريم والحديث النبوي مجملاً من أحكام العبادات والمعاملات. بل ولا يصح الإسلام بالنسبة لنا - نحن الخلق - إلا بتقليد أئمة المذاهب رضوان الله عليهم. وليس بالاجتهاد الفوضوي كما يزعمه بعض الجهلة ولا يخفى أن العلماء متفقون على أن الخارج عن المذاهب الأربعة ضال مضل وربما أداه ذلك إلى الكفر

لأن الأخذ بظواهر الكتاب والسنة من أصول الكفر ولأن كثيراً من القرآن والأحاديث ما ظاهره صريح الكفر، (وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم... * آل عمران: ٧)

ولا ينبغي اتهام الأئمة الأربعة في ترك السنة وهم أرباب العلم والورع والكشف والإنصاف وأحرص الناس على اتباع سنة رسول الله وقد بنى الإمام مالك رضي الله عنه مذهبه على أربعة أشياء: آية قرآنية، وحديث صحيح، وإجماع أهل المدينة،

واتفاق جمهورهم.

وقد أجمع أهل السنة على وجوب التقليد على من ليس فيه أهلية الاجتهاد وقد

شاع ذلك حتى صار معلوما من الدين بالضرورة.
ومعلوم عند كل أحد أن رتبة الاجتهاد قد انقطعت منذ أزمان وأنه ليس في أبناء
هذا الزمان أحد من الذين بلغوا درجة الاجتهاد، ومن توهم ذلك فقد غره هواه، ولعب
به
الشیطان.

لذلك كان من حقنا - نحن الخلق - أن نقلد هؤلاء الأئمة بدلا من الاجتهاد
الذي لم يصل إليه أفهامنا فالاجتهاد له شروط وبدونها يكون تلاعب وسخرية
بشريعة الرسول صلى الله عليه وسلم أعاذنا الله من ذلك وقد قال ابن القيم [١] في
كتاب

"إعلام الموقعين" لا يجوز لأحد أن يأخذ من الكتاب والسنة ما لم تجتمع فيه شروط
الاجتهاد من جميع العلوم. فمن هذه الشروط أن يكون فقيها عالما بكتاب الله حافظا له
عارفا باختلاف قراءته، واختلاف قرائه بصيرا بتفسيره خبيرا بمحكمه ومشابهة وناسخه
ومنسوخه وقصصه. ومنها أن يكون عالما بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مميزا
بين

صحيح أحاديثه وسقيمها. ومنها أن يكون ورعا، دينيا، صائنا لنفسه، صدوقا، ثقة بيني
مذهبه على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فمن فاته واحدة من هذه
الخصال كان ناقصا فلا يجوز له أن يكون مجتهدا يقلد به الناس.

وسأل رجل أحمد بن حنبل [٢] إذا حفظ الرجل مائة ألف حديث هل يكون
فقيها قال لا قال فمائتي ألف حديث قال لا قال فثلاثمائة ألف حديث قال لا قال
فأربعمائة ألف حديث قال نعم ويقال إن أحمد بن حنبل أجاب عن ستمائة ألف
حديث.

هذا ولا يجهل أحد منا أن العلماء في كل زمان ومكان كالنووي والسيوطي و أحمد
بن تيمية وابن القيم والفخر الرازي وطنطاوي والغزالي وابن القاسم و خليل بن
إسحاق وغيرهم كانوا جميعا على تقليد بالأئمة مع أن كل واحد منهم له اليد الطولى
في

كل فن من الفنون ولكن لما علموا أنهم لم يصلوا إلى رتبة الاجتهاد وقفوا عند حدهم
و

كانوا من جملة المتقلدين. " ورحم الله امرءا عرف قدره ولم يتعد طوره. "

(١) أبو عبد الله محمد بن أبو بكر تلميذ ابن تيمية المتوفى ٧٥١ هـ

(٢) أحمد بن محمد بن أبو عبد الله المتوفى ٢٤١ هـ

هذا ومن الغريب جدا أن يكون باب الاجتهاد مفتوحا أمام الجميع يتسارع إليه الفقيه والسفيه ويتزاحم لديه العالم المتبحر والجاهل المتكبر. يتقيد هذا بعلمه ويتخبط ذاك بجهله كلا! إنها محض دعوى أريد بها تضليل العوام وتلبيس الحقائق بالأحلام ليس غير.

فالاجتهد في نظر المحققين رتبة في غاية السمو والارتفاع ومن المستحيل أن تحاول الوصول إليه عصابة من المتخلفين الذين كان الجدال - ولا يزال - هو مبلغهم من

العلم ومنتهى حظهم في الفهم وقد سولت لهم أنفسهم أن يجوزوا لأنفسهم ولغيرهم الاستنباط من القرآن والأخذ بظاهر الآيات والأحاديث علما منهم بأن ذلك أقرب وسيلة وأنجح حيلة لصيد عقول الجهال ونيل الشهرة والرياسة لدى الأميين الذين لا يميزون بين السقيم والمستقيم لأنهم يقولون: نحن نقول قال الله أو قال رسول الله وغيرنا

يقول قال مالك وقال شيخ فلاني.

ومن هنا أنكروا التقليد بأئمة المذاهب وبالغوا في نقدهم والاعتراض عليهم و تراهم يتساءلون فيما بينهم كيف نترك الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ونقلد بالأئمة في اجتهادهم المحتمل للخطأ؟ وكيف نترك قول الله ورسوله ونأخذ بقول مالك

أو بقول شافعي أو بقول فلان وفلان؟ وقد أجابهم بعض المحققين في تلك التساؤلات بقوله [١] إن تقليد الأئمة في اجتهادهم ليس تركا للآيات والأحاديث كما يزعمون بل هو عين التمسك والأخذ بهما فإن القرآن الكريم ما وصل إلينا إلا بواسطة مع كونهم أعلم منا بناسخه ومنسوخه ومطلقه ومقيده ومجمله ومبينه ومتشابهه ومحكمه وأسباب نزوله ومعانيه وتأويلاته ولغاته وسائر علومه وتلقيهم ذلك عن التابعين المتلقين عن الصحابة الذين تلقوا مباشرة عن الشارع الأمين صلوات الله وسلامه عليه المعصوم من الخطأ والهفوات.

وكذلك الأحاديث ما وصلت إلينا إلا بواسطة مع كونهم أعلم ممن بعدهم بصحيحها وحسنها وضعيفها ومرفوعها ومرسلها ومتواترها وآحادها ومعزلها وغريبها وتأويلها وتاريخ المتقدم والمتأخر والناسخ والمنسوخ وأسبابها ولغاتها وسائر علومها مع

(١) وهو العلامة الشيخ محمد أحمد عليش في كتابه فتح العلي المالك صفحة ١٠٠

تمام ضبطهم وتحريرهم لها وكمال إدراكهم وقوة ديانتهم واعتنائهم وتفرعهم و نور بصائرهم " .

وخلاصة القول فإن مدعي الاجتهاد من أبناء هذا العصر، المنكرين لتقليد أئمة المذاهب قد لا يريدون من وراء هذه الدعوى إلا حب الظهور وقصد الشهرة بمقتضى قاعدة: " خالف تعرف " . أو يريدون بها تفريقا وحدة المسلمين وإثارة الشكوك و الخلافات بين صفوفهم سعيا وراء مصالحهم الشخصية. وإلا فهم أعلم بأنفسهم قبل غيرهم بأنهم ليسوا من ذوي المكانة المعترفة في العلوم، ولا أهلية لهم بالفتوى فضلا عن

الاجتهاد الذي يقف دونه أكابر العلماء.

مسألة القبض والسدل

أما القبض فهو الشعار الرسمي لوهابيي بلادنا وقانونهم المطبق بل هو الركن المؤكد وشرطهم الأساسي لصحة الصلاة. وقد يبتلون صلاة من ترك القبض وأسدل يديه

ولا يأتون به ويحكمون عليه بالكفر والفسوق تارة، وبالشرك والنفاق تارة أخرى. فهذا الحكم الفاسد إما لجهلهم بفقهاء الصلاة وإما لإنكارهم على الإمام مالك رضي الله عنه الذي كره القبض في الفرائض ولا حجة لبعضهم في تأكيد هذا القبض و اختياره على السدل سوى إنهم ذهبوا إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج ووجدوا أهل مكة يقبضون أيديهم في الصلاة.

ونحن نحيب لأولئك البعض بأن الحج إنما هو مؤتمر إسلامي كبير يشترك فيه آلاف من المسلمين القادمين من بلاد مختلفة ومن أماكن شتى فبعضهم على مذهب الحنفي والبعض الآخر على مذهب الحنبلي وقد يكون بعض هذه المذاهب يفضل القبض

ويأمر به خلافا لمذهب الإمام مالك رضي الله عنه.

ولا ينبغي لمالكي أن يترك مذهبه ويقلد غيره على هذه الصورة خصوصا إذا كان قبضه يؤدي إلى سوء التفاهم واختلاف الآراء فيما بينه وبين قومه فصون الوحدة الإسلامية والسعي لتقارب وجهات النظر بين المسلمين في شؤونهم الدينية والدنيوية

أولى، وأجدر من التمسك والتشديد في مسائل وقد رخص فيها ومع ذلك فلسنا نحن مأمورين باتباع أهل مكة في سائر الأقوال والأفعال وإنما أمرنا باتباع النبي صلى الله عليه و

سلم قال الله تعالى: (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة * الأحزاب: ٢١) ولم يقل كان لكم في أهل مكة آية أسوة فأهل مكة كغيرهم من سائر المسلمين مأمورون هم أيضا

باقتداء النبي صلى الله عليه وسلم. لا أن يقتدي بهم وحدهم فمسألة القبض والسدل إذن ليست بمسألة مكين أو مدنيين حتى نحتاج إلى التقييد بما هنالك. ولكنها مسألة مرئية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كباقي المسائل الفقهية.

وقد ثبتت في الآثار الصحيحة مشروعية كل من القبض والسدل وأنها من فعل المعصوم صلى الله عليه وسلم ولا يتصور أن يكون الإمام مالك رضي الله عنه قد اختار

السدل من تلقاء نفسه، أو أمر به بمجرد هواه وحاشاه أن يفعله أو يأمر به دون أن تكون له أسانيد صحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك، ولا يليق بنا أن ننكر عليه أو

نعارضه في أية مسألة من المسائل الفقهية لا في السدل ولا في غيره لأنه أعلم منا بصلاة

رسول الله وأفقهنا بحكم القبض والسدل وهو رضي الله عنه إمام فقهاء عصره وقدوتهم على الإطلاق ومذهبه عمري على المشهور. وحسبه فخرا كونه إماما لدار الهجرة وعالم

المدينة المنورة على التحقيق وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في حقه: (لا تقوم الساعة

حتى يظهر عالم المدينة) وقال أيضا: (يخرج الناس من المشرق إلى المغرب في طلب العلم فلا يجدوا أعلم من عالم المدينة.)

وسئل أبو حنيفة عن مالك فقال: " ما رأيت أعلم منه بسنة رسول الله منه " و مناقب الإمام مالك رضي الله عنه أظهر من شمس الضحى وأكثر من أن تعد أو تحصى.

هذا ومن الواضح جدا أن منكري السدل الطاعنين به غير مقيدين بقوانين الفقه و الحديث. وليسوا بمتفقهين بالمعنى الصحيح لقد ثبت السدل عن كثير من الصحابة

كأبي
بكر الصديق وعلي ابن أبي طالب وأبي هريرة وسعد بن سهل ومعاذ بن جبل وعبد الله
ابن الزبير وأبي حميد الساعدي وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين. فالطعن على
المسدلين
طعن لجميع هؤلاء الصحابة والعياذ بالله من ذلك. ومعلوم أن أصحاب رسول الله
كالنجوم بأيهم اقتدينا اهتدينا.

وإننا لنعتقد أن الطاعنين على السدل معذورون من حيث قلة الفهم وضعف الإدراك فهم - على ما يبدو - كأدوات مسخرة لأفكار بعض المتطرفين الذين يزعمون أن

السدل بدعة قبيحة وأن الشارع صلى الله عليه وسلم لم يفعله قط ولم يأمر به وذلك ما صرح به الأخ محمد المرزوق ابن عبد المؤمن الفلاتي في كتابه: "القبض والإرسال في

الصلاة" وقد ذكر هذا الرجل في كتيبه المذكور أن مسدلي الأيدي في الصلاة بدعيون ملعونون ومستحقون الخلود في النار وقال أيضا إن صلواتهم باطلة وعباداتهم عاطلة وجميع

أعمالهم مردودة من أجل هذا السدل لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) من حديث عائشة ولم يترك هذا المؤلف المفتون رطباً ولا يابساً

من الكلمات القبيحة والعبارات الشنيعة إلا وأطلقها على الأئمة الكرام والعلماء الأعلام الآخذين السدل من صفة الرسول عليه السلام. ومن جريان العمل به من طرف بعض الصحابة والتابعين وباتفاق جمهور العلماء على مر القرون والعصور. هذا ومن المؤسف جدا إن هذا الكتيب رغم ما فيه من الفحشاء والمنكر والكلام القبيح قد نال قبولا حارا واهتماما بالغالدي بعض الوهابيين الذين زادوا به حقدا على المسلمين وتفريقا بين صفوف المصلين فصار القابض منهم يمتنع أن يصلي خلف السادل عملا بما ورد في هذا الكتيب. وتعطلت من أجل ذلك المساجد والزوايا وشرعوا

بحكم لم يأذن به الله ولم ينزل به سلطانا. ويتابع الفلاتي في صفحات كتيبه قائلا: "فإننا لم نجد للسدل حديثا صحيحا ولا حسنا ولا ضعيفا حتى نعتمد عليه" نعم قد لا يجد الفلاتي الحديث عن السدل - كما ذكر - لأنه لم يكن متعمقا في علم الحديث مثلما تعمق في علم السب واللعن والشتائم والأستاذ الفلاتي - كما يبدو لنا في أسلوب لعناته وعباراته في الطعن والتشنيع - يبدو وكأنه تخرج من "كلية البذاءة" وقد حاز فيها على شهادته العليا "في الوقاحة والجرأة" لذلك لا يمكن له أن يكتب أو يتكلم إلا بما يناسب ثقافته المشؤومة.

أما كون السدل من فعل المعصوم صلى الله عليه وسلم فيشهد عليه حديث مسيء الصلاة الذي أخرجه البخاري ومسلم والنسائي وغيرهم عن أبي هريرة رضي الله عنه. وخلاصته "أن رجلا دخل المسجد وصلى بحضور الرسول عليه السلام ثم جاء

فسلم عليه فقال (وعليك السلام ارجع فصل فإنك لم تصل) فصلى ثم جاء فسلم فقال (وعليك السلام ارجع فصل فإنك لم تصل) فصلى ثم جاء فسلم فقال (وعليك السلام ارجع فصل فإنك لم تصل) فقال في الثانية أو في الثالثة علمني يا رسول الله فقال (إذا قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء ثم استقبل القبلة فكبر اقرأ ما تيسر معك من القرآن ثم اركع حتى تطمئن راكعاً ثم ارفع حتى تستوي قائماً ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً ثم ارفع حتى تطمئن جالساً ثم افعل ذلك في صلاتك كلها) وزاد في رواية أخرى

(فإذا فعلت ذلك فقد تمت صلاتك وإن انتقصت منها فإنما انتقصت من صلاتك.) هذه كيفية للصلاة بتمامها ذكرها الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يذكر فيها القبض وصح الاستدلال بهذا الحديث على أن كلما ذكر فيه واجب لا تصح الصلاة بدونه

وما لم يذكر فيه فليس بواجب وهو صلى الله عليه وسلم كان يومئذ بمقام تعليم الواجبات

في الصلاة ولا يجوز في حقه أن ينسى شيئاً منها أو يقتصر بذكر بعضها دون البعض. وكذلك حديث أبي حميد الأنصاري الذي أخرجه البخاري وأبو داود والنسائي وذلك أن أبا حميد كان في عشرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال أنا

أعلم بصلاة النبي صلى الله عليه وسلم قالوا: نعم فوالله ما كنت بأكثرنا له تبعة ولا أقدمنا

صحبة قال بلى قالوا: فاعرض، أي صف لنا صلاة النبي قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام إلى الصلاة رفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه ثم يكبر حتى يقر كل عظم في موضعه معتدلاً ثم يركع ويضع راحته على ركبتيه. وتابع أبو حميد رضي الله عنه في

وصف صلاته مرتباً حتى أتى إلا التسليم قالوا كلهم صدقت هكذا كان يصلي صلى الله عليه وسلم مع أنه لم يذكر فيها القبض وقد ذكر جميع الفرائض والسنن والمستحبات بالاستقصاء. وهذا الحديث أيضاً حجة واضحة في السدل وحيث لم ينكر عليه الصحابة في عدم ذكر القبض ولم يناقشوه فيه - رغم أن المقام كان مقام احتجاج وامتحان - علمنا أنهم متفقون على أن القبض ليس لازماً في صفة صلاته صلى الله عليه وسلم. أما قول مالك رضي الله عنه في الموطأ، " كان الناس يؤمرون أن يضع الرجل يده اليمنى على ذراعه اليسرى في الصلاة. " فإن هذا الحديث يدل على أن الصحابة رضي الله

عنهم كانوا قبل ذلك يسدلون وإلا كان أمراً بتحصيل الحاصل وهو عبث محال عليه صلى

الله عليه وسلم.

وحديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه الذي قال فيه: " رأني رسول الله صلى الله عليه وسلم وضعت شمالي على يميني فأخذ يميني فوضعها على شمالي " يدل هو أيضا على أن ابن مسعود رضي الله عنه كان حديث عهد بالقبض لأنه لا يجوز أن

يجهل صحابي جليل مثل ابن مسعود فعلا من أفعال الصلاة الذي يكرره كل يوم سبعة عشر مرة على الأقل.

وهذان الحديثان يدلان على أن السدل هو أول فعلية والذي يدل على أنه آخر فعلية صلى الله عليه وسلم استمرار عمل الصحابة عليه إذ لا يجوز جهلهم آخر حالي الرسول صلى الله عليه وسلم.

وإمامنا مالك رضي الله عنه كان من تابعي التابعين وقد أخذ عن علمائهم الذين شاهدوا عمل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا اعتمد على ما شاهدته منهم من

السدل فقال رضي الله عنه أنه لا يرى القبض في الفرض كما رواه عنه تلميذه ابن القاسم [١]

في المدونة وأخذ به أصحابه.

هذا ومن أراد مزيدا من الإيضاح في هذا الموضوع فليطالع كتاب " موقف الفصل في أدلة القبض والسدل. " للعلامة الحاج سعد بن عمر توري [٢] أو يطالع كتاب " ما قل

ودل في أدلة القبض والسدل " للأستاذ الشيخ أحمد التجاني الفتوي [٣] فقد عالج مؤلفا

هذين الكتابين - جزاهما الله خيرا - مسائل القبض والسدل وبحثا عن أحكامها بحثا دقيقا وبيننا مشروعية كل منهما ومأخذهما من صلاة الرسول ومن عمل الصحابة و التابعين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

وهذان الكتابان في غاية الأهمية لمن يريد التفقه في أحكام القبض والسدل.

ومن ذلك اتفاق الأئمة على استحباب وضع اليمنى على الشمال في القيام وما قام مقامه مع قول مالك في أشهر روايته أنه يرسل يديه إرسالا ومع قول الأوزاعي إنه يتخير

فالأول مشدد والثاني وما بعده مخفف وإن تفاوت التخفيف اختلفوا في محل وضع اليدين

(١) عبد الرحمن بن قاسم العتكي المالكي المتوفى ١٩١ هـ.

(٢) السيد سعد عمر توري مدير " مدرسة سبيل الفلاح " سيقوج " مالي "

(٣) الأستاذ أحمد التجاني به الخطيب الإسلامي في إذاعة والتلفزة ابدجا سع



(٤٩)

فقال أبو حنيفة تحت السرة وقال مالك والشافعي تحت صدره فوق سرته وعن أحمد روايتان أشهر هما كمذهب أبي حنيفة واختارها الخرقى [١]
هذا ومن الحديد بالذكر إن هؤلاء الوهابيين قد اتخذوا القبض شعارا لهم لتمييزوا به عن غيرهم أو ليقدروا عددهم وعددهم والقبض أشرف من أن يكون وسيلة للتفريق بين جمهور المصلي أو لتمييز بعضهم بعضا.

ولا ينبغي أن يكون القبض والسدل مصدرى الخلاف بين جماعة المسلمين اللهم إلا إذا استولى عليهم التعصب أو الجهل بأحكام الفقه لأنهما ليسا من الشروط التي تتوقف عليها صحة الصلاة وليسا من الفرائض ولا من السنن المؤكدة ولكنهما من الفضائل الخفيفة بالنسبة لا فعال الصلاة ولكن إخواننا الوهابيين لما تركوا تعلم الفقه جهلوا

أحكام الصلاة وجعلوا الفضائل محل الفرائض وفي الحديث: (من يرد الله به خيرا يفقهه في

الدين) متفق عليه

وأخيرا نختم هذا الموضوع بمقال للأستاذ الحاج سعد بن عمر نقلناه من كتابه "موقف الفصل" ونصه ما يلي: "فالقول إذا يا إخواني ببطان صلوات السادلين أو القابضين ليس له نصيب من الصحة ولا مستند له في الشريعة ولا قال به من يعتد بكلامه

من الأجلة ونسبة فاعل أحدهما أو تاركة إلى البدعة أو النفاق أو الكفر الموجب للخلود في

النار ودعاؤه بالفحش والبذاء والطعن في الإيمان والوقوع في الأعراض حرام في الشريعة

المطهرة ولا نتيجة له سوى التدابر والتضاغن والنزاع والتفرقة وقطع الأرحام وهجران المساجد وسدها وإغلاق المدارس المؤدي إلى إضعاف المسلمين وفشلهم وتسليط الأعداء

عليهم كما وقع - فعلا - في بلادنا بفعل هذه الشرذمة التي ما زالت تسعى باسم الدين وراء منفعتها الخاصة دون المنفعة العامة."

(١) عمر بن حسين أبو القاسم الحنبلي المتوفى ٣٣٤

التداوي بالقرآن أو بأسماء الله تعالى
وجدير بنا أن نأتي بهذا الموضوع لأنه من أشهر المواضع التي تثير الخلافات بيننا و
بين الوهابيين فهم يرون أن من كتب شيئا من القرآن أو من أسماء الله تعالى وعلق عليه
سواء للتداوي به أو للتحرز فقد كفر بالله ويرون أن فعله هذا نوع من السحر أو هو
السحر

ذاته. عفا الله عنهم حيث أوقعهم سوء فهمهم على مخالفة القرآن والحديث في هذا
الموضوع

قال الله تعالى: (ونزل من القرآن ما هو شفاء * الإسراء: ٨٢) وقال أيضا: (قل هو
للذين

آمنوا هدى وشفاء * فصلت: ٤٤) وآيات الشفاء معروفة ومشهورة لورودها في القرآن
الكريم في ستة مواضع فالقرآن قليله وكثيره شفاء من الأمراض الحسية والمعنوية وشفاء
من الأمراض الظاهرة والباطنة بدليل ما ورد في الحديث: (الفاطحة شفاء من كل داء)
رواه البيهقي. وقال عليه السلام: (خذ من القرآن ما شئت لما شئت.) وقال أيضا: (من
لم يستشف بالقرآن لا شفاه الله.) وقالت عائشة رضي الله عنها: " كان رسول الله
صلى الله

عليه وسلم إذا اشتكى رقاها جبريل " فقال: (بسم الله يريك من كل داء يشفيك من شر
حاسد إذا حسد.) وروى عنها أيضا: " كان صلى الله عليه وسلم إذا اشتكى يقرأ على
نفسه بالمعوذات وينفث في يده ويمسح بها ما بلغ من جسده "
وهذا دليل على أن التداوي بالقرآن أو بأسماء الله تعالى جائز وأخذ العوض عنه
جائز كذلك لما روي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: " انطلق نفر من
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفرة سافروها حتى نزلوا على حي من
العرب

فاستضافوهم فلم يضيفوهم فلدغ سيد ذلك الحي فسعوا له بكل شئ فلم ينفعه فأتوا به
إلى

الرهط فقالوا لهم إن سيدنا قد لدغ وقد سعينا له بكل شئ فلم ينفعه فهل عند أحد
منكم

شئ فقال بعضهم نعم والله إنني لأرقى ولكن قد استضفناكم فلم تضيفونا فما أنا براق
حتى تجعلوا لي جعلاً " أي أجراً " فصالحوهم على قطع من الغنم فأخذ الصحابي يقرأ
الفاطحة ويتفل عليه فقام الرجل يمشي وما به علة فأوفوهم جعلهم ولما رجعوا إلى
المدينة

أخبروا النبي بذلك فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: (إن أحق ما اتخذتم عليه أجرا كتاب الله) رواه البخاري. هذا ولنا أسوة حسنة بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين

هم نجوم الهدى ويصح الاقتداء بهم في كل شئ والذين سبقونا إلى هذا العمل الطيب و أخذوا منه الأجرة فأجاز لهم الرسول أكل هذه الأجرة وهو صلى الله عليه وسلم أعلم بما

يجوز أكله وما لا يجوز.

وأما قولهم بأن الرقية هي الجائزة، لكونها هي الواردة في الأحاديث والآثار الصحيحة، دون الكتابة للشرب والتعليق. وأن الكتابة حرام مطلقا، فهذا القول مردود لأننا لم نجد في أحكام الشريعة الإسلامية حكما يجوز التلفظ به ويحرم كتابته. فكل ما يجوز لفظه يجوز قطعاً كتابته، وما لا فلا!

ومن المعلوم أن الكلمات التي يلفظ بها الراقي هي نفس الكلمات التي يكتبها الكاتب على السواء ولا يحتمل تجويز أحدهما مع تحريم الآخر فالتلفظ والكتابة أمران متحدان حكما ومعنى يقوم كل منهما مقام الآخر.

وفي " الرسالة " لابن أبي زيد القيرواني: " ولا بأس بالمعاذة تعلق وفيها القرآن " ويكون مستورا بطاهر يقيه الأذى ولا بأس أيضا بالرقية من غير القرآن حيث كان عربيا مفهوم المعنى كالمشتمل على ذكر الله ورسوله وأما ما لا يفهم معناه كالكلمات العجمية والطلاسيم المبهمة فلا تجوز الرقية بها لأن الإمام مالك رضي عنه سئل عن الأسماء العجمية قال: " وما يدريك أنها كفر؟ " وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إذا فزع أحدكم في النوم فليقل أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه و

عقابه وشر عباده من همزات الشياطين وأن يحضرون فإنها لن تضره) وكان عبد الله بن عمر يعلمهن من عقل من بنيه ومن لم يعقل كتبها في صك صم علقها في عنقه. " رواه أبو

داود النسائي والترمذي " ويقول عليه السلام: (لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك.) و يقول أيضا في حديث آخر: (لن يعجل الله شفاء أمتي فيما حرم عليها.)

ويستفاد من هذين الحديثين على أن التداوي بأسماء الله تعالى وآياته يجوز مطلقا لأنه لو لم يكن جائزا - كما يفهم من سياق هذا الحديث لما شفي بها أحد من الأمة، وقد

أثبتت التجارب أن آلاف أو ملايين من المرضى قد شفاهم الله بمحض إرادته ثم ببركة هذه

الآيات المكتوبة. وشأن هذه الآيات المستشفية بها، شأن غيرها من الأدوية الأخرى و كلها لا تأثير لها في دفع الشر ولا في جلب الخير إلا ما كان من توفيق الله تعالى. هذا وليس

من المعقول أن تكون العقاقير التي نروح ونغدوا إلى الصيدليات لشرائها طلبا للشفاء، أكثر

أهمية وأعظم عند الله درجة من المعوذات وآيات الشفاء التي نكتبها هي أيضا لنفس الغرض. فكل من الآيات المكتوبة والعقاقير المشروبة والعمليات الجراحية المستعملة لا قوة لها في حد ذاتها لدفع المرض أو استعادة الصحة ولكنها أسباب ووسائل ليس إلا!

فالشافى الحقيقي إنما هو الله وحده. ولقد أجاد من قال:
إن الطبيب لذو علم ومعرفة * ما دام في أجل الإنسان تأخير
حتى إذا ما انقضت أيام مدته * حار الطبيب وخانته العقاقير
أما احتجاج الوهابيين بالحديث القائل: (من علق تميمة فقد أشرك).
والحديث القائل: (من علق تميمة فلا أتم الله له ومن علق ودعة فلا ودع الله له).
فهو - على ما أعتقد - من الوهم اللغوي عندهم لأن التمايم معناها في اللغة " خرزات "

وهي ما ينظم في السلك من الجذع والودع وما يشبهها وقد كان الأعراب في الجاهلية يضعونها على أولادهم للوقاية من العين ودفع الأرواح فلما جاء الإسلام نهاهم الرسول عن ذلك.

وعلى هذا فإن المراد بالتمايم والوع في الحديث المذكور إنما هي تمايم الجاهلية و دعوهم التي كانوا يعلقونها قبل الإسلام ولا يتصور حمل هذه الأحاديث على ما يكتبه المشايخ من الآيات القرآنية والأسماء الإلهية للتعوذ بالله أو لطلب الخير منه لما سبق ذكره

من أحاديث وآيات الشفاء ولعدم التجانس بين هذه وتلك!
وشتان بين خرزة مثقوبة وورقة مكتوبة بحروف عربية ذات معنى صحيح مطابق بقوله تعالى: (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها * الأعراف: ١٨٠)
والدعاء سواء كان باللفظ أو بالكتابة وسواء للدنيا أو للآخرة كله جائز لقوله تعالى: (ادعوني أستجب لكم * المؤمن: ٦٠) ولما في الحديث: (الدعاء مخ العبادة) هذا وينبغي استمرار المنع لخصوص تلك الجذع والودع التي ما زال بعض العوام يستعملونها حتى اليوم. ويجب منعها إياهم تبعاً للأحاديث الصحيحة الواردة في عين هذه

الجدع والودع المعروفة.

وأما كتابة هذه الآيات القرآنية وهذه الأسماء الإلهية لقصد الضرر وظلم عباد الله كإهلاكهم مثلا وإتلاف أموالهم أولا دخال العداوة بينهم فهو الممنوع الحرام يعاقب

به فاعله والمفعول له معا إلا من تاب وآمن وعمل صالحا ويحرم كذلك الدخول بها

في الأماكن النجسة والمواضع القذرة. ويجب على المشايخ التنبيه عليه وتحذيره، وأن لا يكتبوها إلا لمستحقها لغرض جائز شرعا وتكون مستورة بطاهر كالجلد ونحوه وحينئذ

لا حرج والله أعلم.

بيان أوجه التخالف بين الوهابيين أنفسهم

تختلف الآراء والاتجاهات من دعاة الوهابية أيما اختلاف وكان لكل واحد منهم أوامره ونواهيته الخاصة به ينفرد بها دون غيره وليس من السهل التوفيق بين هذه الآراء المختلفة وتلك الاتجاهات المتناقضة والجمع بينها.

وبما أن الواجب على المرء أن لا يقبل كل ما يقال عن شخص أو مذهب أو طائفة حتى يثبت لديه صحة ذلك، بأن يسمع من ذلك الشخص ما قيل عنه أو يقرأ كتبه أو يجتمع بأصحابه المقربين لذلك بذلت جهدي في تحصيل الكتب الوهابية لأقف على حقيقة هذه الدعوة قبل أن أصدر حكمي لها أو عليها وقد اطلعت على بعض هذه الكتب و

قرأت شيئا من مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب ورسائله كما اجتمعت ببعض وهايبى بلادنا البارزين واستمعت إليهم وفهمت مقاصدهم وخلال مقارنتي بين مقالات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وبين ما هو عليه وهايبو بلادنا لاحظت اختلافا جوهريا في الأقوال والأفعال بل وفي العقائد بين الإدارة الوهابية وبين المتوهبين الآخرين وخاصة أولئك الموجودين معنا الذين يخالفون الشيخ تماما وبصفة غير معهودة بين المتبوع و

التابعين وذلك مما يؤكد بوضوح على أن الدعوة الوهابية قد أصابها داء التعصب والفوضى

من قبل بعض المتطرفين والمنحرفين الذين سلبوا من هذه الدعوة جميع القيم والمثل العليا و

أقل ما يقال فيهم، هم أصحاب مرء وجدال استولى عليهم الجهل والتعصب - بل هم قوم خصمون - ."

وها أنا أنقل لك أيها القارئ الكريم بعضا من الرسائل التي كتبها الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى بعض أتباعه والتي ذكر فيها عقيدته وما هو عليه. قال رحمه الله بعد

ببسملة والصلاة على النبي: " أشهد الله ومن حضرني من الملائكة وأشهدكم أنني أعتقد ما اعتقده أهل السنة والجماعة من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله. وأقر بكرامات الأولياء إلا أنهم لا يستحقون من حق الله شيئا ولا أشهد لأحد من المسلمين بجنة ولا نار، إلا من شهد له الرسول صلى الله عليه وسلم ولكني أرجو للمحسن وأخاف

على المسيء. ولا أكفر أحدا من المسلمين بذنبه ولا أخرجه من دائرة الإسلام. وأرى هجر

أهل البدع ومباينتهم حتى يتوبوا وأحكم عليهم بالظاهر وأكل سرائرهم إلى الله. ونحن في الفروع على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ولا ننكر على من قلد الأئمة الأربعة دون غيرهم. ولا نستحق مرتبة الاجتهاد ولا أحد منا يدعيه. " انتهى ما نقلناه من

رسائل الشيخ ابن عبد الوهاب التي بين فيها عقيدته وما هو عليه. [١] ولكن لننقل لك أيضا - أيها القارئ الكريم - بعض المحاورات والمناظرات التي جرت بيني وبين الأصدقاء الوهابيين ليتبين لك عقيدة وهابي بلادنا، ولتعلم أيضا بأن جميع ما ذكرناه في هذا الكتاب من الحوال الوهابيين إنما هو عن علم اليقين. " وليس الخبر

كالعيان. " لقد قمت مرة بزيارة لمدينة " سكاسو " فجاءني بعض الأصدقاء من الوهابيين

للسلام على كالعادة ولما استقر بنا الجلوس شرعنا في الحديث عن الخلافات الدينية وتأثيرها في المجتمع واقترحنا أن نتحدث فيما بيننا بنوع من الصراحة لنجد التفاهم ونزيل

الخلافات القائمة بيننا. فابتدرت بالسؤال قائلا: لماذا خرجتم من المسجد وتركتم الصلاة

معنا فهلا نصلي معا فمن شاء منا يقبض يديه ومن شاء يسدل كما هي الحال في كثير من

المساجد؟ فأجابني أحدهم قائلا: لا يا أخي المشكلة ليست في القبض أو في السدل ولكننا في الحقيقة نعتبركم شركين فلا نرى صحة الصلاة خلف واحد منكم ثم قلت له:

لأي شئ تعتبروننا مشركين؟ قال: لأنكم تعلقون التمايم وتتوسلون بالأنبياء و

(١) نقلناه من كتاب " الشيخ محمد بن عبد الوهاب عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية "

الصالحين. فعلمت أن هذا الأخ مصاب بداء الجهل وهو بحاجة إلى طبيب الارشاد. وتحدثت مرة أخرى مع صديق آخر منهم فقلت له: لو استطاع المسلمون أن يجمعوا كلمتهم ويوحدوا صفوفهم بدلا من هذه الخلافات لكان خيرا لهم فأجابني الصديق: نعم ولكن لا يستطيع المسلمون أن يتحدوا إلا إذا تمسكوا بالكتاب والسنة و تركوا ما سواهما من المذاهب والطرق التي هي مصادر الاختلاف بين المسلمين. و ما دام

يقال هذا مالكي وذاك شافعي وآخر حنبلي فإن الاتفاق بين المسلمين محال. فعلمت أيضا إن هذا الأخير أشد جهلا من الأول وقد بلغ به جهله أن ينكر كل شيء حتى على المذاهب الأربعة المجمععة على صحتها.

وفي مدينة " قاوننى " حيث بنوا مسجدا جديدا يؤدون فيه صلاة الجمعة بجوار الجامع العتيق تحدثت يوما مع واحد منهم فقلت له: ما رأيكم في هذا المسجد الذي تقيمون

فيه صلاة الجمعة هناك جامع عتيق غير ضائق وليس ثم عذر شرعي يمنعكم من الصلاة فيه؟ ومع ذلك فمسجدكم هذا في بعض الأوقات لا يجتمع فيه اثنا عشر رجلا فكيف ترون صحة صلاة الجمعة في هذا المسجد؟ فقال لي شكرا على هذا السؤال ولكن لا تنس

أن هذا التحديد الذي ذكرتموه من أن صلاة الجمعة لا تصح بأقل من اثني عشر رجلا إنما

هو من قول الإمام مالك رضي الله عنه فلسنا نحن متقيدين به ولا بغيره من الأئمة فالمعمول

عندنا أن صلاة الجمعة تصح باثنين وبثلاث وبأربع بلا حد. وأعجب من هذا فقد جاءني في العام الماضي أخ وهو من أهل البادية في نواحي " نيور " وقال لي بأنه جاءهم رجل من علماء الوهابية وأفتى لهم بجواز أداء صلاة الجمعة

لكل شخص حيثما حضرته الصلاة سواء كان في القرية أو في الفلاة، وحثته في ذلك أن

المسلم حيثما صلى فهو يصلي مع جماعة من الملائكة وقال لي هذا الأخ بأنه شخصيا صلى

صلاة الجمعة مع ثلاثة رجال من الوهابيين وهو رابعهم صلوا هذه الصلاة بلا خطبة ولا في

مسجد مبنى، فسألني ذاك الأخ عن صحة تلك الصلاة، وأمرته بالإعادة ظهرا، لعدم توفيتها شروط الجمعة.

ومن جملة ما يحرمه وهابيون بلادنا الصور " الفوتوغرافية " حتى أن بعضهم لا يبيع

ولا يلبس الأقمشة التي توجد فيها صور الأشخاص أو الحيوانات ولا يخفى أن علماء

الحرمين الشريفين قد أفتوا بجواز هذه الصور " الفوتوغرافية " لأهميتها في شتى المجالات ولا حاجة لنا إلى السؤال هل الصواب مع هؤلاء المتطرفين أم الحق مع علماء الحرمين الشريفين؟

أما التدخين فليس بمحظور في شريعتهم على الأرجح لاجتماع غالبيتهم على استعمال هذه المادة الضارة فلا نزال نشاهد الدخان يخرج من فم الأخ الوهابي وهو لا يستحي أن يضر نفسه ولمن يقربه من نتن هذا الدخان بينما قرأنا في الكتب الوهابية بأن

الشيخ محمد بن عبد الوهاب كان يحرم التدخين. فإذا كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب يقول صراحة بأنه مقر لكرامات الأولياء. ولا يكفر أحدا من المسلمين بذنب وهو في الفروع على مذهب الإمام أحمد بن حنبل فإن

أتباعه اليوم قد خرقوا جميع هذه المقررات واستحقوا بأن نسميهم " وهامين " بدلا من الوهابيين لانتهاجهم سلوكا آخر غير الذي قرره الزعيم الوهابي. واستنادا منا على هذه الحقائق المذكورة فإن الدعوة الوهابية قد تحولت هنا إلى دعوة تجارية يستغلها البعض على حساب البعض الآخر.

والوهابية هنا - على التحقيق - عبارة عن إنكار أولياء الله تعالى، وعن التشديد في الدين، والتقليل من ذكر الله والصلاة على نبيه المصطفى وأضف إلى ذلك عدم الاحترام للسادة المشايخ، والآل بيت النبي فكل من تكونت في شخصيته هذه الصفات فهو

الوهابي الكامل، الذي يسمى عندهم بالسني.

هل هم سنيون أم وهابيون؟

يغالط البعض في هذه المسألة أسوأ الغلط حيث يسمون أنفسهم بالسنيين، بينما لا علم لهم بالسنة إلا اسمها ولا صلة لهم بها أكثر من ادعائها والتفاخر بها كأنها في نظرهم لقطة فلاة يختص بها اللاقط مهما كانت صفاته وكيفما ساء سلوكه وأخلاقه. ولكن هيهات أن تحقق الادعاءات نفعاً، أو تقيم لأصحابها وزناً.

ويزعم هؤلاء المعنيون أنهم سنيون وليسوا بوهابيين والعجب كل العجب أن يدعي الجاهل أنه سني أو أنه زعيم للدين بارز وليس من المعقول أن يكون الجاهل سنياً فإن العلماء أنفسهم عجزوا أن يكونوا سنيين حقيقيين إلا الخواص - وقليل ما هم - فكيف

بالجهال الذين هم في واد والسنة النبوية في واد.

فالسنية عبارة عن اتباع سنة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه والاقتراء بأقوالهم وأفعالهم وسلوكهم وأخلاقهم وذلك يقتضي العلم والعمل معا وبفقد الأول تكون سنية الجاهل محالاً وبفقد الثاني تكون سنية العالم باطلاً ولا بد من اجتماعهما معا

وإلا فهي سنية اللسان لا غير فنحن لا نقبل سنية الجاهل مهما طالب لحيته أو اشتد تنسكه. وفي الحديث: (شر أمتي رجلان عالم متهتك وجاهل متنسك) وقال الشاعر:
فساد كبير عالم متهتك * وأكبر منه جاهل متنسك
هما فتنة للعالمين عظيمة * لمن بهما في دينه يتمسك
وقال الآخر:

" كم لحية طالت على ذقن جاهل * وما تحته إلا الغبارة والجهل "
فالسنة النبوية تلاحظ صاحبها في جميع حرركاته وسكناته وتراقبه في كل العبادات والمعاملات من المشي والكلام والأكل والشرب والبيع وغيرها وهي تفرض على المرء أن لا يفعل حتى علم حكم الله فيه ويسأل العلماء ويقتدي بالمتبعين لسنة محمد صلى الله عليه وسلم.

ومن هنا نعرف أن السنية لا تكون في زي خاص ولا في هيئة معينة، بل هي أشرف من أن تستر في مثل تلك الأماكن التي إن هي إلا حبايل يصطاد بها ضعفاء العقول والعقيدة. وفي الحديث: (إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أقوالكم ولكن ينظر

إلى ما في قلوبكم وأعمالكم) رواه الطبراني هذا وقد نفهم من خلال هذا الحديث الشريف إن هذه الشعارات الإيهامية التي يعتمد عليها بعض دعاة الوهابية والتي تتمثل في توفير اللحية ولبس البيض والتغطي بالعمامة وما إلى ذلك لا تكفي بأن تكون تعريفا كافيا للسني الحقيقي وهم - مع الأسف -

قد أخطأوا في تقدير السنية حيث قيدوها في نوعية اللباس وفي ظاهر الهيئات. وإنما يعرف السني بظواهر تقوى الله في السر والعلانية وبامتنال الأوامر و اجتناب النواهي وبالصدق في القول والإخلاص في العمل وبالقيام بوظائف العبادات من الفرائض والسنن والنوافل وأدائها كاملة غير منقوصة. ويعرف السني كذلك بالتخلي عن الأوصاف الذميمة والأحوال الوضيعة و التحلي به بمحاسن الصفات ومكارم الأخلاق.

فمن شأن السني أن يدعو الناس إلى دين الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة و يجادلهم بالتي هي أحسن. كما من شأنه أن لا يكون سبابا ولا لعانا ولا فظا غليظا ولكن

هينا لينا يعفو ويصفح ويبشر ولا ينفرد اقتداء بالرسول الكريم القائل " لم أرسل سبابا ولا لعانا " والذي قيل عنه: (ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر * آل عمران: ١٥٩)

والسني - بعبارة أوجز - هو من وضع قدمه على قدم الرسول صلى الله عليه وسلم بحيث تكون أقواله وأفعاله مطابقة لأقواله وأفعاله صلى الله عليه وسلم يصدق لسان حاله

لسان مقاله ويكون متصفا بمكارم الأخلاق في سائر أحواله السرية والجهرية وفي جميع تصرفاته ومعاملاته مع الناس.

والسني لا يتجاهر بسنيته ولا يتفاخر بها بل يخفيها قدر الامكان خوفا من الابتلاء وجريا على عادة السنيين الحقيقيين. ويكون السني محتثبا الكذب والغيبة و النميمة عازلا عن حب هذه الدنيا الفانية وما فيها من الشهوات النفسانية راضيا القضاء

حلوه ومره لا يخطر بقلبه حسد ولا رياء ولا رؤية فضل على الغير ويكون شغله شاغل مراقبة

قلبه عن أن يدخله ما سوى الله ومعالجته من أمراض البكر والحسد والعجب والحرص و

تطهيره من دنس الخواطر النفسانية والوساوس الشيطانية ويترك الهذر والفضوليات و يتقي الشبهات في مأكله ومشربه وملبسه ويحذر الغش في بيعه وشرائه ويراعي حقوق جيرانه ويتحمل أذاهم ويوقر كبار المسلمين ويرحم صغارهم ويساعد الضعفاء و المحتاجين.

ويقدم المصلحة العامة على المنفعة الخاصة ويصل من قطعه ويعطي لمن حرمه و يعفو عن من ظلمه ويجب لغيره ما يحب لنفسه ويضيف السني إلى كل هذا الاحتساب إلى الله وتفويض أمره إليه لا يأمن مكر الله ولا يقنط من رحمته بل يكون دائما بين خوف و

رجاع لا يزكي نفسه ولا يعجبه علمه أو عمله لما في الحديث: (الناس كلهم هلكى إلا العالمون، والعالمون كلهم هلكى إلا العاملون، والعاملون كلهم هلكى، إلا المخلصون و

المخلصون على خطر عظيم.)

فتلك نبذة يسيرة من أخلاق السني وهذه صفاته فانظر نفسك أيها الأخ الوهابي، فإن كنت هكذا فأنت سني حقا. وإلا، فلا! وإياك أن تكون من الذين يقولون ما لا يفعلون قال تعالى: (كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون * الصف: ٣) صدق الله العظيم

وجوب صلة الرحم وخطورة قطعها
فصلة الرحم واجبة في الكتاب والسنة والإجماع قال الله تعالى:
(واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام * النساء: ١)
ومعنى الآية - والله أعلم - اتقوا الله وصلوا أرحامكم ولا تقطعوها لأسباب غير
شرعية وفي الحديث: (يقول الله تعالى أنا الرحمان خلقت الرحم وشققت لها اسما من
اسمي
فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته) رواه الطبراني عن جرير وقال عليه السلام:
(الرحم
معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله) أخرجه الطبراني
والبيهقي
ويروى عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم
(ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة
من البغي
وقطعية الرحم)
ولهذا جاء الإسلام مهتما بشأن الأرحام وحث المسلمين على صلتها ورعايتها في
جميع المستويات وأكد لهم من أن قطعها مما يستوجب اللعنة وسوء العاقبة قال تعالى:
(والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في
الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار * رعد: ٢٥)
وقد ظلت صلة الرحم عنصرا هاما من عناصر الدين وهدفا حيويا من أهداف
الإسلام ولها أهمية كبرى في الدين والمجتمع ومن الضروري أن نوليها - نجد أيضا -
أقصى ما يمكن من الاهتمام لأنها أي الرحم عاهد الله تعالى إن من قطعها قطعة الله
ومن
وصلها وصله الله والله لا يخلف الميعاد.
فمن واجبنا - نحن التلاميذ - وكل المسؤولين أن نعلم إخواننا المسلمين كيف
يجب عليهم مواصلة أرحامهم وكيف يحسنون المعاشرة فيما بينهم وذويهم وما وعده
الله
للقائمين بهذه الواجبة الإنسانية. ونحذرهم كذلك من مغبة قطع الأرحام وتفريق وحدة
المسلمين وما يترتب عليهما من الندم والخسران في هذه الدار وتلك الدار الآخرة. وفي
الحديث: (إن رحمة الله لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم) رواه الإصبهاني وقال عليه
السلام: (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) ومتفق عليه عن ابن عمر

فالسعيد من لم يكن سببا للتفريق بين الأمة أو لإدخال العداوة بينها ويقول الرسول عليه السلام: (أيما رجل قام يفرق بين أمتي فاضربوا عنقه) ويقول أيضا: (الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها) رواه الديلمي

هذا وما دمنا في موضوع صلة الرحمن فمن المناسب أن نورد هنا مسألة بر الوالدين ووجوب طاعتهم والإحسان إليهما قولاً وفعلاً والدعاء لهما في حال الحياة وبعد الوفاة لأنهما سبب الوجود و سر الحياة وخاصة الذين ربيا كترية إسلامية. فعقوقهما من الكبائر

التي يترتب عليها الوعيد والعياذ بالله. فلا يحنك على عقوقهما ومقاطعتهما إلا عدوك الذي ينتهز فرصته ليختلس ما لديك ثم يتبرأ منك يوم تقف بين يدي الله تعالى. وهناك من أفراد الوهابيين من يعوق والديه ويعتبرهما مشركين لا لشيء سوى أنهما لم يستسلما للدعوة الوهابية أو لم يقبضا أيديهما في الصلاة ولا يراعي فيهما حقوق

الأبوة ولا يؤدي لهما واجب البنوة وهو يعرف أن أباه هو الذي أخذ بيده وهو صغير وذهب به

إلى المعلم ليعلمه مبادئ الإسلام وشرائع الدين فلما كبر هذا الولد المسكين وتوهم أبي

إلا أن يسمي أباه هذا مشركا عازما أن لا يعامله إلا بقدر ما يجوز التعامل به بين المسلم و المشرك.

وصار - بهذا القرار - ناسيا أو متناسيا كل ما قدم له هذا الوالد من عناية ورعاية، وحنو أيام مهده وصباه. وقد أنساه شيطانه أنه لو ذهب به أبوه يومئذ إلى الكنيسة لصار رهبانيا أو إلى الكاهن لكان ساحرا عليما. فإذا كان هذا هو جزاؤك لوالدك أيها الولد فأين جزاء الاحسان بالإحسان؟

هذا ولا شك أن هناك أيديا مجرمة تحركهم من تحت الستار وتشجعهم على المضي بما هم عليه من العقوق والتقاطع مع آبائهم وذويهم وتزين لهم سوء أعمالهم هذه بأنها نوع

من الجهاد وأنها من امتثال أوامر القرآن حيث يقول الله تعالى: (لا تجد قوما يؤمنون بالله

واليوم الآخر يوادون من حاد الله و رسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم)*

(المجادلة: ٢٢) فاتقوا الله أيها الأولاد واذكروا قوله تعالى: (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه

و بالوالدين إحسانا)* (الإسراء: ٢٣) وقوله عليه السلام: (الجنة تحت أقدام الأمهات)

رواه
الحاكم وصححه

خاتمة الكتاب

وفي الختام أرجو من الإخوة الوهابيين سامحني الله وإياهم أن يرجعوا عن الإنكار بما لم يحيطوا به علما وأن يبادروا إلى التوبة بالندم على ما فات قال الله تعالى (ومن يعمل

سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيمًا) وأن يجتنبوا سوء الظن بإخوتهم

المسلمين قال تعالى: (إن بعض الظن إثم * الحجرات: ١٢) وقال: (فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم

بمن اتقى * النجم: ٣٢) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (المسلم من سلم المسلمون

من لسانه ويده) رواه أحمد عن أبي هريرة وقال أيضا: (طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب

الناس) أخرجه أبو نعيم هذا ولا بد من نهي المنكر أيا كان مصدره لقوله تعالى: (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر * آل عمران

١٠٤) ولقوله عليه الصلاة والسلام: (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده وإن لم يستطع فبلسانه وإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان) رواه مسلم والترمذي

ولكن يجب التمييز بين كبائر الإثم وصغائر الذنوب وبين ما يؤدي إلى الشرك وما يفضي إلى الحرام ولا يجوز تكفير المذنب ولا تحريم المكروه

وقد جعل الله لكل شيء قدرا وهو سبحانه وتعالى المحلل والمحرم وليس لأحد تغيير أحكامه، ولا تعدية حدوده وإنما عليه وضع النقط على الحروف قال تعالى: (ولا تعتدوا

إن الله لا يحب المعتدين * المائدة: ٨٧) وقال: (ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه * الطلاق: ١)

صدق الله العظيم

وعلى ضوء هذه الآيات البيّنات والأحاديث النبوية الشريفة نوجه ندائنا إلى قادة الأمة من العلماء والحكام وجميع أولياء الأمور بصفة عامة أن يشاركوا على إنقاذ

هذه

الأمة التي تكاد تفقد دينها ودنياها وكل شرفها ومعنوياتها. فعليهم أن يؤدّدوا صفوفهم ويضاعفوا جهودهم ويعملوا لتحقيق فرص التفاهم والتآلف بين جماهير المسلمين و

بتعين على هؤلاء القادة أينما كانوا أن يساعدوا - بكل ما هو ممكن - على حل الخلافات و

المشاكل القائمة - اليوم - بين أفراد المسلمين وجماعاتهم خدمة للدين والوطن
والإنسانية
جمعاء.

ومعلوم بالضرورة أن الخلافات كانت موجودة بين فئات المسلمين عبر القرون
والعصور. ولكنها لم تكن قد وصلت إلى درجة تكفير المسلمين بعضهم بهم مثلما
حدث

فعلا من بعض دعاة الوهابية المتطرفين الذين تضررت بهم الأخوة والدين والأرحام معا.
وحبذا لو تدخلت الحكومات بصورة جدية في شأن هذه النزاعات اللاشعرية و
وضعت حدا نهائيا لحل تلك الخلافات باعتبارها خرقا لقوانين الشرعية الإسلامية التي
يجب على الجميع تطبيقها. وإلا ضربت بقيود من حديد على أيدي أولئك المجرمين
الذين

يسعون باسم الدين وراء مصالحهم الشخصية. وإذا لم تقم الحكومات بواجباتها نحو
حل
هذه الخلافات فإن عواقب الشعوب ستظل مضطربة وسينتهي الأمر إلى حروب أهلية
لا محالة.

ويتعين كذلك على ساداتنا المشايخ، المعلمين منهم والمربين وجميع الأئمة
والوعاظ أن يشاركوا بدورهم على تحقيق هذه الغاية النبيلة ويعلموا أتباعهم وتلامذتهم
ضرورة توحيد المسلمين واحترام بعضهم بعضا. وأن يلازموا الحذر كي لا يتخذهم
الشیطان

وسلة للتفريق وإلقاء العداوة بين المؤمنين. وعليهم أن يقدرُوا هذه المسؤولية الجسيمة
التي
وضعها الله على عواتقهم والتي هم مسؤولون عنها أمام الله. قال رسول الله صلى الله
عليه

وسلم: (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) متفق عليه
وذلك ما نريد أن يفهمه أيضا قادة الوهابية ليساعدوا الأمة الإسلامية على جمع
كلمتها وحماية وحدتها بدلا من إثارة الفتن والخلافات بين صفوف المسلمين.
وهذا ما تيسر لنا جمعها من هذه المسائل على أننا نقدر بل ولم نحاول أن نستوعب
جميع ما تتطلبه هذه المواضع من الشرح الطويل والبحث الدقيق وإنما هو امثال فقط
بوجوب النصيحة وإيمان بأن الذكرى تنفع المؤمنين.

وفي الختام نتجه إلى الله القدير قائلين اللهم أيد الإسلام واجمع كلمة المسلمين و
وفقههم لرؤية الحق حقا وأعنه على اتباعه ولرؤية الباطل باطلا وأعنه على اجتنابه
اللهم

أنت الشاهد وكفى بك شهيدا إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله

عليه

(٦٤)

توكلت وإليه أنيب سبحانه ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد
لله رب
العالمين.

تقاريف العلماء

ولما انتهينا من كتابة هذه المؤلفة عرضناها على كثير من علمائنا المفقهين و
أساتذتنا المثقفين في مختلف الأماكن والأوطان وطلبنا منهم أن يبدوا بآرائهم
وملاحظاتهم - وانتقاداتهم - بكل حرية - حول موضوعات هذه المؤلفة وعباراتها
ورجونا

منهم كذلك أن يساعدوا على تحسين ما يصدر فيها من الخطأ والهفوات.
وقد تفضلوا مشكورين بتلبية طلبنا وتحقيق رجائنا. حيث قاموا بمراجعتها و
تصحيحها مرات عديدة وأدخلوا فيها مزيدا من التغييرات والتعليقات تتطلبه
الحاجة ويقتضيه الموضوع

وأخيرا أعربوا جميعا عن استحسانهم بهذه المؤلفة وتأييدهم لها. ونحن إذ نحمد
الله تعالى في البدء والتمام فلا ننسى أن نشكر السادة العلماء على مشاركتهم معنا. في
تحقيق هذه المحاولة المتواضعة، وتشجيعهم إيانا تشجيعا بلغ الغاية.
ولا أدل على ذلك من هذه التقاريف التي كتبوها بمحض إرادتهم وبعثوها إلينا
من مختلف المدن والجمهوريات وفيما يلي نص تلك التقاريف على التوالي

حضرة الأخ الحاج مالك به: إنني راجعت الرسالة من أولها إلى آخرها كباحث ومتفقد حرفا حرفا بل جملة أو كلمة فوجدتها صحيحة وموافقة للموضوع الذي قمت لسببه

وهو الرد على الوهابية. فكللمات الرسالة جديرة بأن تكتب باللجين. فأرجو من الله تعالى أن يزيدك فهما وأن يعينك على الاصلاح ما استطعت وأن يجعل مثواك غدا مع الأبرار وأن يغفر للمسلمين أجمعين.

من الأخ أبي بكر حجتي
مدير مدرسة " سبيل الديانة " موبتي
جمهورية " مالي " amali

بسم الله الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد فليعلم الواقف على هذه الورقة أن قد طالعت هذا الكتاب بعين الرضى صفحة بعد صفحة فوجدته صحيحا فوق الغاية مكتوبا بقلم الفصاحة والبلاغة والأدب بل هي جريدة حسناء بلغت الغاية في الجمال.

فجزاك الله عن الإسلام خير الجزاء وأدام شمس سيادتك العلية ورعاك بعين رعايته من حاسد إذا حسد والحمد لله على التمام ودمتم بخير وعافية.

الكاتب عثمان عبد الله سكلي
المدرس في مدينة سنس عبد الله عصمه الله
جمهورية " مالي "

ومن مدينة تمباكندا - بالسنغال - بعث إلينا الأستاذ جيران الحسين جاكو بهذا التقريظ القيم استهله بقوله:

قال الحسين بن محمود جاك: شهدت بالله لله في الله بأنك جاهدت جهدك في سبيل الله جزاك الله عن الإسلام خيرا من أجل كتبت الحروف بقولي:

الحاج مالك به أقضى برسالة * للرد والتحقيق بل لتودد
فبخ بخ لرسالة مرسومة * بعناية من فيض جود محمد
برواية منقولة من سنة * ودراية ومواهب من ماجد
إسناده أي الكتاب المحكم * فجزاه ربي بالجزاء الأمجد
فغرور والمغرور كل سادم * فرح الغيور لصون سنة أحمد
دم باحثا متضلعا متورعا * متجاهدا حتى تلاقي أحمد
صلى عليه الله ما دام الهدى * يهدى إليه هداة دين محمد
والآل والأصحاب مع أزواجه * ومن انتمى يوم الدين محمد
. ٥١

الحسين بن محمود جاك
الخطيب الإسلامي بدار الإذاعة الوطنية
" تمبا كندا " جمهورية السنغال

ومن مدينة كيهيد بالجمهورية الإسلامية الموريتانية اتصلنا بالتقريض التالي الذي
بعثه إلينا زميلنا هارون موسى جل معلم القرآن الكريم وهذا نصه: الحمد لله الذي قدر
فهدي والصلاة والسلام على مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد: إن الأخ
المسلم
والصديق الملهم السيد الأستاذ الحاج مالك به جدير بأن يكتب اسمه مع أسماء
العظماء

الذين ناضلوا وضحوا أرواحهم وهدروا دماهم الغالية للحق ومن أجل الحق.
وإن هذا التأليف لجدير أيضا أن يكتب بماء الذهب والفضة وإني أقسم بالله: قد
وضعت النقاط فوق حروفها وقد أمطت اللثام عن حركات المشبوهين لدين الله والذين
جاؤوا بالبدع وكفروا كل من خالف بدعهم وأهواءهم الفاسدة. والله وقد زادوا الطين
بلة لمخالفة رؤساء الإسلام في مسألة الإغاثة وأخطئوا في التقدير رغم اجتهادهم في
الدين و

كلمة التوحيد أقال الله عثراتنا وعثراتهم.
وإننا لنشكر الله عز وجل ثم نشكر الأخ على نصحه لجميع المسلمين سدد الله

خطاك أيها الأخ المسلم وبيارك فيك وفي قلمك الميمون.

هارون موسى جل

معلم القرآن الكريم في مدينة كيهيد

ج الإسلامية الموريتانية

الحمد لله الذي أهدى إلينا السيد الفاضل الغيور والناصر المعين القائم لقمع
البدعة الوهابية الذين هم تركوا السواد الأعظم وخرقوا عصي الاجماع وظنوا أنهم على
شئ

استحوذ عليهم الشيطان واستولى عليهم حتى تركوا ذكر الله وأنكروا أولياء الله
واشتموا

أهل الله وعباده الصالحين لعداوتهم وجزاءتهم على الأولياء والصالحين ومن نظر إلى
هذه

المؤلفة بعين الإنصاف وأنعم النظر فيها يعلم أن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء من
عباده.

إذا أخذ المدرعة لضرب رؤوس أولئك الذين يوحون بعضهم إلى بعض زخرف القول
غرورا.

وهذا من أعظم الاجتهاد في سبيل رب العباد والذب عن الأولياء الصالحين
وعباد الله المقربين فجزاه الله خير جزائه.

الحاج سعيد جل - بمكو

جمهورية " مالي "

ولما وقف على هذه المؤلفة الشريفة المرید الحقيير عبد العزيز المنصور ابن الحاج
يوسف صمب الله دارمى. قال في مدح منشئها وراقمها بقلم العجالة والاضطراب هذه
الآيات:

لله در فتى أتى برسالة* من بحره الزخار ذات دلائل

عند راء لم تسبق بميدان الحمى* ردت دعاوى كل أحقق جاهل

يا مالك العالمين ظهير باطن* أبشر فسعيك واصل للعادل

صنت الطريقة أهلها بردودها* من مكر شرذمة بعزم مناضل

نرجو بك النصر المبين لنهجننا * لطريقة القطب الشهير الواصل
أعطاك ربك مبتغاك بهذه * وبتك بالهادي الأمين الفاضل
عبد العزيز كتبتها بعجالة * إذ في القطار يقوني بمتمايل [١]
إنني أحبك في الإله وأحمد * ختم الرسالة والولاية عامل
الأستاذ عبد العزيز دارمي إمام الجامع في مدينة ينقام جمهورية سيراليون
sierrrleon

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي أنزل الكتاب على عبده وجعله منهاجا لكل عابد أو اب وأمره
فيه بأن يدعون إليه بالحكمة والموعظة الحسنة (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة
الحسنة * النحل: ١٢٥) والصلاة والسلام على معدن الحقائق ومرشد الخلائق القائل
(نصر الله امرءا سمع منا فبلغه كما سمعه.) فرب مبلغ أوعى من سامع سيدنا محمد
الهادي

إلى صراطه المستقيم وعلى آله وأصحابه حق قدره ومقداره العظيم.
وبعد: فقد اطلعت على - تأليف أحيانا في الله الأستاذ الأديب الأريب الذي أنار
الله عقله لخدمة الإسلام والمسلمين السيد (بالحاج مالك) أبقاه الله منار الكل سالك،
فوجدته مع صغر حجمه أحسن وأفضل كتاب ألف في هذا الجانب، ولم أتمالك نفسي
أن

قلت موجزا:

تبلج نور في ظلام جهالة * مبينا لنا حقا منار الطريقة
فبدد أوهام الضلال التي بها * يضل بعض المدعين لسنة
على يد شاب مسلم متورع * فقيه نزيه ذي تقى ومسروءة
عنيت به شمس الهداية مالكا * حباه الإله نيل أفضل منية
فلله دره فتى متشمرا * لنصرة دين الله في كل لحظة
أبان لمن رام السعادة والرضى * سبيل الهدى مستسهلا كل صعبة

(١) لقد كتب سيادته هذا التقرير ونحن على متن القطار بين مدينة خامي - وبمكو العاصمة

أضياء لنا نهج الحقيقة واضحا * وأبدى لسالك بكل نصيحة
تفيض العلوم من يديه غزيرة * ويرشد جاحدا بأوضح حجة
أتى بعجيب حين عبر معلنا * حقائق ترزي للدعي بحكمة
حقائق إسلامية تزهب باطلا * بنص صريح من كتاب وسنة
حقائق تحصى عن بذاءة جاهل * ظلوم كذوب ناسخ للشريعة
ولن يجعل الله السبيل لظالم * على مؤمن صونا الأفضل ملة
فيا رب وحد بين كل الطوائف * على الحق حتى لا نبالي بلومة
دعوناك ربي أن تمن لعصرنا * بأمثاله حتى نفوز بوحدة
فيا رب جازه على ما أجاده * وأبدل له عما هفا بفضيلة
وسامح لمحمود وبلغه للمنى * ووفر له فيضا بأحسن فيضة
وعمم لكل المسلمين برحمة * تدوم عليهم من ذكور ونسوة
وصل على الهادي الكريم وآله * وأصحابه دوما إلى يوم بعثة
ونرجو الله أن تكون هذه نقطة بداية ينطلق منها أبناء بلادنا المثقفون المخلصون
لدينهم إلى تمحيص عقيدة الإسلام من الخرافات والأوهام التي يروجها الانتهازيون
الذين

ينتحلون اسم الدين سعيا وراء أغراضهم الشخصية نسأل الهداية والتوفيق إنه على ما
ينتحلون اسم الدين سعيا وراء أغراضهم الشخصية نسأل الله الهداية والتوفيق إنه على ما
يشاء قدير وبالإجابة جدير.

الفقير إلى الله محمود سليمان بوصو
المدرس بمدرسة " هدى الله " ص. ب: ١٨٣٦ بامكو
جمهورية " مالي "

حمدا لمن أسدى جلائل الأيادي وأسدل بسط العلم على من حباه من الحواضر
والبوادي. وحصر مذاهب الأئمة الأربعة والطرق الصوفية في الكتاب والسنة. وجعل
مقلديهم من خيرة أهل السنة والجماعة. وصلاة وسلاما على مظهر الحقيقة والحق
سيدنا

محمد ناصر الحق بالحق.

وبعد وإنني لما من الله على بمطالعة ما ألفه صديقنا الصفي وحبينا الروحي السيد الحاج مالك به ونظرت إليه بعين التأمل والإنصاف فوجدته صحيحا للغاية فحق وأيم الله لكل مقلد للإمام مالك. ولكل منصف سبيل القصد سالك. أن يستشهد عند وقوفه على ما أوتي مؤلفه من المعارف والمدارى بقول جمال الدين الإمام مالك حين قال: و
إذا كانت العلوم منحا إلهية ومواهب اختصاصية فغير مستبعد أن يدخر لبعض المتأخرين ما
عسر فهمه على كثير من المتقدمين وأرجو أن يجادل عنه الإمام رضي الله عنه في دار
البقاء
جزاء بمجادلته عنه في دار الفناء. وأن يكف عنه أكف القابضين ويقطع بسيف تحقيقاته
رقاب ذوي التنطع الغالين بجاه سيد الأولين والآخرين والحمد لله رب العالمين
عثمان ابن عبد الله يقادو
مدرس القرآن الكريم في مدينة قد بنبي
ثيتور ج. مالي
تم بعون الله وحسن توفيقه تأليف هذا الكتاب وترتيبه وذلك مساء الجمعة ٧ من
شعبان عام ١٤٠٣ هجرية سنة ١٩٨٣ ميلادية نسأل الله سبحانه أن يجعل هذا
العمل خالصا لوجهه الكريم ومقبولا لديه وصلى الله عليه سيدنا محمد وآله، وصحبه
أجمعين.